2-3 ب

الكاتب ٩٩

للثقافة الانسانية والتقدم

العدد
ع والتسعون
وز ١٩٨٨

- هجرة الايدي العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة.
- مكانة السكان الفلسطينيين في حياة الاردن الاقتصادية والسياسية - الاجتماعية في الخمسينات.
- تفاقم الازمة الاقتصادية في الاردن.
- من اعمال التحضير للكونفرنس الحزبي التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي.
- اتفاق سلام اسرائيل - فلسطين.
- الابداع والديموقراطية.
- الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة.

خوض في تفاصيل الموقف الفلسطيني

لم يعد من المحرمات

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

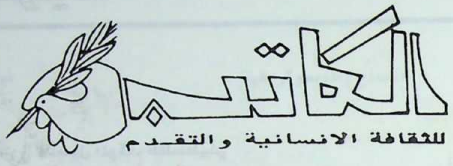

99

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

2 0 -07- 1988
Library
UNRWA

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٢٥	٤٠	٥٠
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (٩٩) تموز ١٩٨٨ - السنة التاسعة NO.(99), JULY 1988

Digitized by Birzeit University Library

سياسة:

٤	الخوض في تفاصيل الموقف الفلسطيني لم يعد من المحرمات	أسعد الاسعد
٨	قائمة بأسماء شهداء الشهر السابع للانتفاضة	الكاتب
٣٣	من اعمال التحضير للكونفرنس الحزبي التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي	أنباء موسكو

دراسات:

١٠	هجرة الايدي العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة خلاصة واستنتاجات	د.عبد الفتاح ابو شكر
٢٠	مكانة السكان الفلسطينيين في حياة الاردن الاقتصادية والسياسية - الاجتماعية في الخمسينات	د.محمد شحادة

متفرقات:

٢٨	تفاقم الازمة الاقتصادية في الاردن.	
٤٨	اتفاق سلام اسرائيل - فلسطين	

Digitized by Birzeit University Library

أدب:

٥٢	الابداع والديموقراطية	نبيل سليمان

مسرح:

٧٠	الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة الحكواتي	راضى شحادة

قصة:

٨٢	عزيز	د.سبيرو عيسى الطمس

شعر:

٨٥	لعصفور يبحث عن مكان لسارية	عدنان ضميري
٨٧	بيان	ماجد ابو غوش
٨٩	ل مريم اقول حبي	يوسف حامد
٩١	بيت من الجماجم البشرية	د.ديدا ممتاز
٩٢	اهزوجة البندقية	كارلوس ماريا غوتييرث
٩٣	أصداء ثقافية	

Digitized by Birzeit University Library

كلمة العدد

الخوض في تفاصيل الموقف الفلسطيني لم يعد من المحرّمات

* اسعد الاسعد *

على ضوء التطورات التي تجري منذ اكثر من ستة اشهر ، جراء الانتفاضة الشعبية ، لم يعد بالامكان اتخاذ موقف معارض لما ورد في رسالة بسام ابو شريف الى الادارة الاميركية ، والى الدول دائمة العضوية في مجلس الامن . ذلك ان ما طرحه ابو شريف لا يتعارض مطلقا ، مع الموقف الفلسطيني ، الذي عبرت عنه القيادة الفلسطينية في مؤتمر القمة الاخير ، والذي يعبر عن روح اتفاق الاطراف الفلسطينية في الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في الجزائر قبل اكثر من عام.

واذا كان المسؤولون الاسرائيليون ، نجحوا طوال الاربعين سنة الماضية في جر العالم الى اتخاذ موقف اقل ما يقال فيه انه غير منصف وغير عادل تجاه القضية الفلسطينية ، فان التغيرات التي احدثتها الانتفاضة ، دفعت بالكثيرين الى تغيير مواقفهم ، واتخاذ موقف اكثر انصافا ، وتفهما لقضية الشعب الفلسطيني وتطلعاته الوطنية.

واذا كانت الانتفاضة نجحت - الى حد كبير - في احداث هذا التغيير ، فليس مقبولا تحميلها اكثر مما يجب ، اذ ان القيادة الفلسطينية ، مطالبة اليوم ، اكثر من اي وقت مضى ، في المساعدة على دفع العالم باسره ، الى تطوير مواقفه تلك ، باتجاه الضغط على الحكومة الاسرائيلية والادارة الاميركية ، للقبول بما يطرحه العالم اليوم ، من تسريع بعقد المؤتمر الدولي ، باشتراك الاطراف المعنية وبضمنها منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن اجل ان يتحقق هذا الهدف ، فان الخوض في تفاصيل الموقف الفلسطيني ، لم يعد من المحرّمات ، بل ان الحديث تفصيلا ، عن موقف فلسطيني يستند الى ما تم اعتماده في الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ، يعتبر من

Digitized by Birzeit University Library

الضرورات الملحة الان ، على ضوء النقلة الهامة التي احدثتها الانتفاضة في مواقف العالم من القضية الفلسطينية .

ومن هنا ، فان خطوة بسام ابو شريف ، خطوة في الاتجاه الصحيح ، لما تتضمنه من وضوح ، وتفصيل ، للموقف من موضوعة السلام الاسرائيلي - الفلسطيني ، واستعداد منظمة التحرير الفلسطينية رسميا لتحقيقه عبر المؤتمر الدولي ، كما ان الاشارة بوضوح ، الى القبول بدولة فلسطينية مستقلة الى جانب دولة اسرائيل ، مع الاعتراف بحق كل الدول بما فيها اسرائيل وفلسطين في السيادة والامن ، يؤكد رغبة الشعب الفلسطيني الصادقة في العيش بسلام ضمن دولة مستقلة في حدود الرابع من حزيران ، كما تذهب الرسالة في توضيح الموقف الفلسطيني الى ابعد من ذلك ، حين تتحدث عن تعاون الدولتين اسرائيل وفلسطين ، في المجالات المختلفة بعد تحقيق السلام العادل بينهما ، واخيرا ، فان الوثيقة الفلسطينية تؤكد ان الفلسطينيين يريدون الامن والسلام الدائم ، ليس لانفسهم فقط ، وانما للاسرائيليين ايضا "لانه ليس بمقدور احد ان يبني مستقبله على اطلال شعب اخر".

وقد كانت لجنة الكتاب والفنانين والاكاديميين الاسرائيليين والفلسطينيين ، سبّاقة في طرحها لخطة سلام عادل بين دولة اسرائيل ، ودولة فلسطين العتيدة ، وذلك في البيان المشترك الذي اصدرته في المؤتمر الصحفي يوم ١٩٨٨/٦/١٣ ، والذي اكد على وجوب انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس العربية ، كما دعا البيان اسرائيل وبشكل واضح لا لبس فيه ، الى فتح حوار فورا مع منظمة التحرير الفلسطينية ، بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، مؤكدا ان ذلك لا يمكنه ان يتم بغير مؤتمر دولي تحضره الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير.

ولعل من حقنا ان نتساءل ، هل سبق للذين اعترضوا على البيان - الوثيقة ، ان قرأوه قبل التعليق عليه ؟! .. ونحن نتساءل لاننا على يقين من عدم قراءتهم لنصوص البيان المشترك المشار اليه ، والا لما وقعوا فيما وقعوا فيه من مغالطات لا مبرر لها ، وقد كان حرّيا بهم ، ان يدركوا المعنى الذي ينطوي عليه ، تجاهل المسؤولين الاسرائيليين ، ووسائل الاعلام الرسمية لذلك الحدث ، ومن بعد لرسالة بسام ابو شريف ، وان كان هناك من تفسير لهذا الموقف ، فليس غير الخشية من مواجهة المواقف الموضوعية ، والتي بدأت تتضح مؤخرا ، ويتم التعبير عنها في مناسبات عديدة ، مستقطبة المزيد من المؤيدين والمتضامنين مع هذه المواقف الواضحة .

ان الوضع الجديد ، الذي خلقته الانتفاضة يتطلب الدقة والوضوح في التعامل مع القضية ، ذلك ان الوضوح في طرح الهدف ، من شأنه ان يكسب

Digitized by Birzeit University Library

اصحاب الحق مزيدا من الاصدقاء ، وذلك تحديدا ما تتضح صورته يوما بعد يوم ، فالانتفاضة ، التي نقلت ما لم يعد بمقدور احد تجاهله ، هي التي احدثت النقلة النوعية في الموقف العربي ، حيث اكدت القمة العربية الاخيرة ، على وحدانية منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيلها للشعب الفلسطيني ، وكذلك مطالبتها بشكل صريح وواضح باقامة دولة فلسطينية مستقلة .

والانتفاضة هي التي دفعت بالقضية الفلسطينية ، لتتصدر جدول اعمال اللقاءات السوفييتية الاميركية ، بعد ان كانت الادارة الاميركية ترفض مناقشتها .

ولا شك في ان وضوح الموقف الفلسطيني ، سوف يساعد الاصدقاء والحلفاء ، وفي مقدمتهم الاتحاد السوفييتي ، الذي يتمسك بموقف مبدئي ثابت تجاه القضية الفلسطينية ، يتمثل بضرورة الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ، وتحقيق ذلك عبر مؤتمر دولي تشارك فيه منظمة التحرير على قدم المساواة مع بقية الاطراف الاخرى .

كذلك ، فان اشارة الدول الرأسمالية السبع الكبرى ، في مؤتمر تورنتو مؤخرا ، - والولايات المتحدة واحدة منها - الى اهمية عقد المؤتمر الدولي ، كل ذلك وغيره دليل تحول في مواقف كثير من دول العالم وشعوبها تجاه قضيتنا.

اننا على ثقة من ان الانتفاضة خلقت واقعا جديدا ، دفع ولا يزال ، بالكثيرين في اوساط الدول والرأي العام الغربي والاسرائيلي جزئيا الى اعادة النظر في مواقفهم السابقة ، ولا شك ان هذا التغيير - مهما كان طفيفا - يستحق التقدير والاهتمام ، ومن اجل ذلك ، فليس اقل من دفع هؤلاء - اصدقاء كانوا ام اعداء - الى تطوير موقف الاصدقاء منهم ، وتقديم العون والمرتكزات لهم ، من اجل فهم اكثر لعدالة القضية التي يدافعون عنها ، ومن جانب اخر احراج الاعداء ، وتفويت الفرصة عليهم للتشكيك بموقفنا ، او استغلال اية ثغرة ، من شأنها تعريض المكاسب التي حققتها الانتفاضة الشعبية على مختلف الاصعدة للخطر او للتصدع .

ومن هنا ، فانه لم يعد مقبولا ، الوقوف موقفا سلبيا امام هذا التأييد المتعاظم والمتزايد لقضيتنا ، ويخطيء من يعتقد ، ان الاستمرار في طرح الشعارات غير الواقعية ، من شأنه ان يحقق لنا غير العزلة ، واذا كانت الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني دعت الى اقامة دولة فلسطينية ، والى انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، والى اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر الدولي على قدم المساواة مع الاطراف المعنية ، فان المطالبة باقامة دولة فلسطينية على الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام

Digitized by Birzeit University Library

١٩٦٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة ، لا تتعارض بحال من الاحوال ، مع روح مقررات المجلس الوطني الثامن عشر ، ولا يسعنا الا تقدير واحترام كل صوت يؤكد هذه الثوابت الفلسطينية ويزيدها توضيحا وتوكيدا.

واذا كانت الانتفاضة قد اعادت للمنظمة دورها ، حيث يجب ان تكون ، بحيث لم يعد بمقدور احد اليوم ، تجاهلها في اية تسوية ، فان المسؤولية تحتم ان لا تخش منظمة التحرير الخوض في تفاصيل برنامجها ، الذي جرى الاجماع عليه في المجلس الوطني الثامن عشر ، اذ ان من شأن ذلك ان يعزز دورها ، ويقوي مكانتها ، ويكسب القضية الفلسطينية مزيدا من الاصدقاء ، ويزيد من عزلة وفضح الاخرين.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر السابع للانتفاضة

تدخل الانتفاضة مع صدور هذا العدد ، شهرها الثامن ، وقد بلغ عدد شهداء الشهر السابع ١٩ بالاضافة الى مئات الجرحى والمعتقلين ، وبذلك يصل عدد الشهداء خلال سبعة اشهر الى ٢٧٠ شهيدا . وفيما يلي قائمة باسماء شهداء الشهر السابع .

الاربعاء ١/٦/١٩٨٨

- مجدى ربحي ابو صفاقة (١٢ عاما) طولكرم. استشهد نتيجة لسقوط برميل مليء بالاسمنت عليه.

الجمعة ٣/٦/١٩٨٨

- مصطفى احمد حلايقة (١٨ عاما) قرية الشيوخ/ الخليل. استشهد نتيجة لتصديه واهل القرية للمستوطنين الذين حاولوا تخريب الممتلكات في القرية.
- محمد عيسى موسى غانم (٢٦ عاما) قرية دير ابزيع/ رام الله. استشهد برصاص الجنود خلال مظاهرة في قرية صفا.

الاربعاء ٨/٦/١٩٨٨

- عبدالله خالد مبارك خلف (٢٥ عاما) ابو ديس/ القدس. استشهد نتيجة اصابته بقنبلة غاز في ظهره وضربه بقسوة.
- حسين جمعة ابو جلالة (٢٠ عاما) مخيم جباليا/ قطاع غزة . استشهد متأثرا بالكسور والجراح البالغة التي اصيب بها جراء الضرب المبرح يوم الاثنين ٦/٦ حيث اصيب بكسور في الساقين والساعد الايسر وبجراح قطعية في مختلف انحاء الجسم وبارتجاج في المخ.

الخميس ٩/٦/١٩٨٨

- عماد حسن حواري (١٧ عاما) قرية سبسطية/ نابلس. استشهد نتيجة لاصابته بعيار ناري في رأسه.

الاحد ١٢/٦/١٩٨٨

- سائد محمد الحايك (١٧ عاما) مخيم عين السلطان / اريحا. اصيب برصاصة في القلب.
- باسم عيسى صباغ (٢١ عاما) مخيم جنين.
- محمد توفيق شعلان (١٢ عاما) مخيم الدهيشة / بيت لحم. توفي في ظروف غامضة ، حيث عثر عليه ملقى داخل بئر قريبة من نقطة مراقبة عسكرية.

الاثنين ١٣/٦/١٩٨٨

- ذيب محمود حسين (٤٣ عاما) قرية عبوين / رام الله. اصيب بعيار ناري في رأسه ، وتركه الجيش ليكتشف الاهالي جثمانه بعد ٥ ساعات.

Digitized by Birzeit University Library

الاربعاء ١٥/٦/١٩٨٨

- نضال ابراهيم ابو حسن (٢١ عاما) قرية بتير / بيت لحم. اصيب برصاصة في رأسه.

الجمعة ١٧/٦/١٩٨٨

- تيسير حسين مليطات (٢٤ عاما) بيت فوريك / نابلس. اصيب برصاصة في صدره.

السبت ١٨/٦/١٩٨٨

- رائد خالد الحاج (١٧ عاما) خانيونس. برصاص الجيش.
- سيد خليل غرباوي (٦٦ عاما) مخيم الشاطىء / قطاع غزة . نوبة قلبية اثر مضاعفات الغاز.

الاربعاء ٢٢/٦/١٩٨٨

- طلعت خليل زقوت (١٦ عاما) الشابورة / رفح. استشهد متأثرا بالاصابة التي اصيب بها بعيار ناري في الرأس.

الاحد ٢٦/٦/١٩٨٨ :

- خضرة عبد الله عوض (٢١ عاما) - ترمعسيا / رام الله / اصيبت بهبوط مفاجىء بالقلب عقب استشهاد شقيقها برصاص المستوطنين .

الاربعاء ٢٩/٦/١٩٨٨ :

- ابراهيم غسان عرانكي (١٥ عاما) - قرية الطيبة / رام الله ، اصيب بعيار ناري من رصاص جنود الاحتلال خلال تصدي اهل القرية للمستوطنين .

الخميس ٣٠/٦/١٩٨٨

- خالد شعبلو (٣٥ عاما) رفيديا / نابلس. استشهد متأثرا بالغاز.
- عرفات احمد حنني (٢٢ عاما) قرية بيت فوريك / نابلس. متأثرا بجراحه التي اصيب بها في اواسط الشهر.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة ، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

هجرة الايدي العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة

خلاصة واستنتاجات دراسة الدكتور عبد الفتاح ابو شكر

نقدم للقارىء خلاصة لدراسة د.عبد الفتاح ابو شكر التي انجزت مؤخرا واعدت للنشر حول هجرة الايدي العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وتتضمن هذه الخلاصة بشكل مكثف ومركز النتائج التي وصل اليها الكاتب بواسطة البحث الميداني وبالاستناد للاحصاءات المتوفرة ونقدم فكرة واضحة عن تاريخ واسباب وحجم ونتائج ظاهرة هجرة الايدي العاملة الفلسطينية تحت تأثير السياسات الاقتصادية التي مورست تجاه الضفة الغربية وقطاع غزة.

- الكاتب -

تناولت هذه الدراسة الهجرة الخارجية من الضفة الغربية وقطاع غزه، وبشكل خاص هجرة الأيدي العاملة منهما منذ الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٨٦.

لقد اتضح لنا أن ظاهرة الهجرة تلك تعود الى نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن الحالي، حيث تبيّن لنا أنه في الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ وحتى حرب حزيران عام ١٩٦٧ هاجر من الضفة الغربية حوالي ٤٠٠ ألف شخص متجهين بصورة رئيسية الى الضفة الشرقية للأردن والى البلدان العربية النفطية وبالذات الكويت. وفي قطاع غزه فان القيود التي وضعتها الحكومة المصرية في تلك الفترة ساهمت الى حد بعيد في الحد من الهجرة منه وحصرها في حدود ضيقة.

في أعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧ مباشرة نزح عن الضفة الغربية ما يقارب ٢٠٠ ألف شخص وخلال الفترة من شهر أيلول وحتى كانون الأول من نفس العام هاجر أيضا حوالي ١٢ ألف شخص. وموجات الهجرة من الضفة الغربية لم

د.عبد الفتاح ابو الشكر، دكتور في الاقتصاد وعميد كلية الاقتصاد والعلوم الادارية في جامعة النجاح الوطنية.

Digitized by Birzeit University Library

تتوقف بعد ذلك بل استمرت خلال فترة السبعينات والثمانينات. حيث نتج عن ذلك أن وصل عدد المهاجرين من الضفة الغربية خلال الفترة من حرب حزيران عام ١٩٦٧ وحتى نهاية عام ١٩٨٥ الى ٣٦٢٫٥٠٠ نسمه، أي أن الضفة الغربية فقدت خلال تلك الفترة حوالي ٣٠٫٥٪ من سكانها.

أما في قطاع غزه فان عدد النازحين منه في أعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧ وحتى نهاية كانون الأول من العام نفسه وصل الى ٣١ ألف شخص، أو ٨٪ من سكانه في حينه. وكما حدث في الضفة الغربية فان موجات الهجرة الخارجية منه لم تتوقف واستمرت خلال السبعينات والثمانينات، حيث وصل عدد المهاجرين منه خلال الفترة من حرب حزيران وحتى نهاية عام ١٩٨٥ الى ١١٩٫٢٠٠ شخص، وهذا يعني أن قطاع غزه قد خسر خلال تلك الفترة ما يقارب ١٨٫٥٪ من سكانه.

ان تلك الأرقام تشير بوضوح الى مدى النزيف السكاني الذي تعرضت لهما الضفة الغربية وقطاع غزه. لقد تبيّن لنا أن أعلى معدلات للهجرة من كل من الضفة الغربية وقطاع غزه تركزت في الفترة من عام ١٩٧٥ الى عام ١٩٨٢، حيث تراوح معدل الهجرة في الضفة الغربية في تلك الفترة ما بين ٢٣٫٩ شخص لكل ألف في عام ١٩٨٠ و ١٠٫٥ شخص لكل ألف عام ١٩٨٢. أما في قطاع غزه فان ذلك المعدل تراوح ما بين ١١٫٢ شخص لكل ألف و ٦٫٢ شخص لكل ألف في نفس الفترة. وهذه المعدلات تعتبر مرتفعة بالمقارنة مع ما كان عليه الوضع في الضفة الغربية قبل عام ١٩٦٧ والتي كانت أقل من ٢٫٥ شخص لكل ألف.

ان الحجم الكبير للهجرة وارتفاع معدلاتها في كل من الضفة الغربية وقطاع غزه أدى الى اتساع قاعدة الأسر التي تعاني من الهجرة. لقد أظهرت نتائج البحث أن ما نسبته ٢٩٫٩٥٪ من الأسر في الضفة الغربية وقطاع غزه لهم أفراد أسرة مهاجرون الى الخارج. وفي الضفة الغربية وقطاع غزه كلا على حده وصلت تلك النسبة الى ٤٠٫٣٪ و ٢٩٫٩٠٪ على التوالي. وتتركز هذه الأسر بصورة رئيسية في المدن في الضفة الغربية وقطاع غزه على حد سواء، حيث تبيّن لنا أن هناك ما نسبته ٥٢٫٢٢٪ من تلك الأسر في الضفة الغربية تقيم في المدن، أما في قطاع غزه فان تلك النسبة وصلت الى ٥٤٫٢٤٪. وهذه الحقيقة تشير الى أن الأيدي العاملة في المدن هناك، بسبب ارتفاع نسبة المؤهلين في صفوفها، هي أكثر عرضة للهجرة الى الخارج من مثيلتها في القرى أو المخيمات.

وتتميز الهجرة الخارجية من الضفة الغربية وقطاع غزه بعدة خصائص ومميزات منها، أن غالبية المهاجرين هم من الذكور. ففي الضفة الغربية نجد أن هناك ما نسبته ٦٦٫٩٢٪ من المهاجرين هم من الذكور، أما في قطاع غزه فان تلك النسبة كانت أعلى ووصلت الى ٨٠٪. ومن الخصائص الأخرى للهجرة أيضا أن معظم المهاجرين هم من الشباب في سن ما بين ٢١ – ٣٥ سنة، ويأتي في المرتبة الثانية

Digitized by Birzeit University Library

اولئك المهاجرين ضمن فئة العمر ما بين ٣٦ – ٥٠ سنة. ففي الضفة الغربية وصلت نسبة المهاجرين منه في سن ٢١ – ٣٥ سنة الى ٦٩ر٢٣٪ ، أما في قطاع غزه فان تلك النسبة كانت أقل ووصلت الى ١٨ر٥٨٪ . كما وصلت نسبة المهاجرين من الضفة الغربية ضمن فئات العمر ما بين ٣٦ – ٥٠ عاما الى ٦٤ر٣٢٪ ، وتلك الخاصة بقطاع غزه كانت أقل ووصلت الى ٠٨ر٢٣٪ .

وفيما يتعلق بعلاقة المهاجرين برب الأسرة وحالتهم الاجتماعية، فقد اتضح لنا أن غالبيتهم هم من الابناء ثم البنات ، وبالنسبة لحالتهم الاجتماعية فاننا وجدنا أن حوالي ثلثيهم متزوجون . ففي الضفة الغربية وصلت نسبة المهاجرين من الأبناء والبنات الى ٤١ر٥٢٪ و ١٣ر٢٦٪ على التوالي، وفي قطاع غزه فانها كانت أقل ووصلت الى ٥٨ر٣٤٪ و ٣٢ر٨٪ على التوالي. كما اتضح لنا أن ٦٢ر٦٨٪ من المهاجرين من الضفة الغربية متزوجون، وفي قطاع غزه فان تلك النسبة كانت أكثر ووصلت الى ٨١ر٧٧٪ . أما نسبة المهاجرين العازبين من الضفة الغربية فانها تصل الى ٨٥ر٢٩٪ ، وتلك النسبة لقطاع غزه الى ١٢ر٢٢٪. وهذا الأمر يشير الى وجود ميل كبير للهجرة في المستقبل من كل من الضفة الغربية وقطاع غزه وذلك في حالة الزواج بالنسبة لهؤلاء واصطحابهم زوجاتهم معهم.

من الخصائص الأخرى للهجرة من الضفة الغربية وقطاع غزه وجود نسبة كبيرة من المهاجرين الذين تأخذ هجرتهم طابع الهجرة الدائمة، وذلك بسبب كونهم لا يحملون الهوية العسكرية التي تصدرها سلطات الاحتلال الاسرائيلي، وبالتالي فانه لا يحق لهم العودة الا لفترة من الوقت في حالة حصولهم على تصاريح زيارة تصدرها لهم سلطات الاحتلال الاسرائيلي. ففي الضفة الغربية وصلت نسبة اولئك المهاجرين الى ٢٩ر٢٣٪، وفي قطاع غزه كانت تلك النسبة ٢٧ر٢٧٪ .

وبالنسبة للوضع التعليمي للمهاجرين فقد تبيّن لنا أنه مرتفع، حيث أنهم غالبيتهم المرحلة الدراسية الثانوية أو الجامعية وأن معظمهم من ذوي المهارات، وهذا الأمر يقودنا الى اعتبار ظاهرة الهجرة الخارجية للضفة الغربية وقطاع غزه بأنها هجرة أدمغة (Brain Drain).

والوضع التعليمي المرتفع للمهاجرين انعكس على المهن والوظائف التي يحتلونها في البلد المستقبل لهم. فقد اتضح لنا أن هناك ٤٧ر٤٨٪ من اولئك المهاجرين يعملون في وظائف أو مهن أو حرف تتطلب مؤهلات عالية، مثل الأخصائيين والفنيين والمشرفين، كذلك الأمر بالنسبة للمهاجرين من قطاع غزه فان نسبة تلك الفئة تصل الى ٢١ر٥٣٪ . وتلك النسب كانت أعلى من مثيلتها بالنسبة للأيدي العاملة المهاجرة من الضفة الشرقية للأردن والتي وصلت الى ٠٣ر٤٢٪. أما نسبة المهاجرين من الضفة الغربية الذين

Digitized by Birzeit University Library

فتصل الى ٤٢ر٣١٪ ، وبالنسبة لاولئك من قطاع غزه فقد وصلت الى ٢ر٥٨٪ . أما المهاجرون من الضفة الغربية العاملون ضمن فئة الكتبة والسكرتارية فتصل نسبتهم الى ٢٠ر١٤٪ ، وبالنسبة لتلك المتعلقة بالمهاجرين من قطاع غزه فانها وصلت الى ٣٠ر٠٦٪ . وبالنسبة للمهاجرين من الضفة الغربية الذين يعملون في مجال الانتاج والنقل فان نسبتهم وصلت الى ١٤ر٧٤٪ ، وتلك الخاصة بالمهاجرين من قطاع غزه وصلت الى ١٦ر٣١٪ . أما باقي المهاجرين العاملين فانهم يتوزعون على مجالات البيع والخدمات . كذلك لوحظ انعدام وجود المهاجرين من الضفة الغربية وقطاع غزه الذين يعملون في مجال الزراعة في البلاد المستقبلة لهم.

2 0 -07- 1988
DIRECTED UNIV

وفيما يتعلق باتجاهات الهجرة من الضفة الغربية وقطاع غزه فقد تبيّن لنا أنها تصنف بشكل رئيسي الى تلك الهجرة التي تتم بين الدول النامية . أما نسبة المهاجرون من الضفة الغربية وقطاع غزه باتجاه الهجرة التقليدي، أي من الدول النامية الى الدول الرأسمالية مثل أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية (أي بين التشكيلات المحيطية أو الأطراف ومراكزهما الرأسمالية)، فقد اتضح لنا أنها قليلة . لقد تبيّن لنا أن غالبية المهاجرين من الضفة الغربية قد هاجروا الى الدول العربية النفطية والضفة الشرقية للأردن ، حيث وصلت نسبة كل منهم الى ٧٧ر٤٢٪ و ١٥ر٢٠٪ . أما اولئك الذين اتجهوا الى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فكانت نسبتهم أقل ووصلت الى ٩٢ر٨٪ و ٦٩ر١١٪ على التوالي . وبالنسبة لقطاع غزه فاننا لاحظنا نفس الشيء، حيث وصلت نسبة اولئك المهاجرين منه الذين اتجهوا الى الدول العربية النفطية والدول العربية غير النفطية، بما فيها الضفة الشرقية للأردن ، قد وصلت الى ٨١ر٦٧٪ و ٦٠ر٢٠٪ على التوالي . أما اولئك الذين اتجهوا الى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فكانت نسبتهم أقل ووصلت الى ٦٧ر٦٪ و ٨٢ر١٪ على التوالي .

أما عن أسباب ودوافع الهجرة من الضفة الغربية وقطاع غزه فقد تبيّن لنا أنها تعود الى عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية . الا أنها في المحصلة النهائية نتاج الاحتلال العسكري الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزه وما نتج عن ذلك من خلق عدد من الآليات أو الميكانيزم التي تدفع باستمرار بالكثير من الأشخاص للهجرة الى الخارج. ومن أهم العوامل الاقتصادية تلك التي تطلق عليها عوامل الجذب في البلد المستقبل للعمالة المهاجرة، وعوامل الطرد الموجودة في البلد المصدر لها . لقد تبيّن لنا أن ٩٢ر٥٠٪ من المهاجرين من الضفة الغربية وقطاع غزه يرجعون سبب هجرتهم الى وجود العمل في البلاد المستقبلة لهم وعدم توفره في الضفة الغربية وقطاع غزه، أي الى انتشار البطالة فيهما، وبالذات البطالة التركيبية، لأن معظم المهاجرين هم من ذوي المؤهلات العلمية والمهارات العالية . كذلك اتضح لنا أن وجود فرص عمل أفضل في الخارج بسبب ارتفاع

Digitized by Birzeit University Library

الأجور هناك وانخفاضها في الضفة الغربية وقطاع غزه بشكلان سببا آخر للهجرة ، فقد تبيّن أن هناك ١٩ر٦٥٪ من اولئك المهاجرين الذين سبق لهم أن عملوا في الضفة الغربية وقطاع غزه تركوا أعمالهم هناك بسبب وجود فرص عمل أفضل لهم في الخارج وبسبب انخفاض الأجور والدخل في الضفة الغربية وقطاع غزه .

كذلك لعبت العوامل الاجتماعية والسياسية دورا هاما في ازدياد حجم الهجرة . أهم العوامل الاجتماعية هي التحاق الزوجة وأولادها بزوجها والرغبة في مواصلة التحصيل العلمي لدى الشباب . ففي الضفة الغربية تبيّن لنا أن نسبة المهاجرين منها بسبب التحاق الزوجة بزوجها أوبسبب مواصلة الدراسة و التحصيل العلمي تصل الى ٥٤ر٢٩٪ و ٩٢ر١٨٪ على التوالي. أما تلك النسب المتعلقة بقطاع غزه فانها تصل الى ٩٧ر١٦٪ و ٣٣ر١٣٪ على التوالي . أما العوامل السياسية التي أدت الى الهجرة من الضفة الغربية وقطاع غزه فتمثلت في السجن أو الاعتقال أو الابعاد. فقد تبيّن لنا أن نسبة اولئك المهاجرين من الضفة الغربية بسبب العوامل السياسية تلك تصل الى ٩٢ر٢٪ ، وفي قطاع غزه فانها أعلى ووصلت الى ٠ر٩٪ .

وفيما يتعلق بآثار الهجرة فقد تبيّن لنا أنها تركت آثارا اقتصادية واجتماعية عديدة نتجت بصورة رئيسية عن التحويلات المالية التي تدفقت على الضفة الغربية وقطاع غزه من أبنائهما بالخارج.

ففي الفترة من عام ١٩٧٤ - ١٩٨٦ بلغ حجم التحويلات المالية من العاملين بالخارج من أبناء الضفة الغربية ٢٨ر٦٤٢ مليون دينار أردني ، أو ما يعادل في المتوسط سنويا ٤١ر٤٩ مليون دينارا أردنيا. أما تلك التحويلات المالية التي ذهبت الى قطاع غزه فقد وصلت خلال الفترة نفسها الى ٤٥ر٤٠٣ مليون دينار أردني ، أو بمتوسط سنوي مقداره ٠٣ر٣١ مليون دينار أردني .

على الرغم من أن التحويلات المالية تعتبر مصدرا للنقد أو العملة الأجنبية بالنسبة للبلد المصدر للعمالة ، فقد اتضح لنا من الدراسة أن الضفة الغربية وقطاع غزه لا تستفيد من تلك التحويلات كمصدر للنقد أو العملة الأجنبية. وذلك لسيطرة النظام المصرفي الاسرائيلي على البنية المالية التحتية لهما Financial Infrastructure . فقد تبيّن لنا أن المستفيد من تحويلات العاملين بالخارج من أبناء الضفة الغربية وقطاع غزه كمصدر للنقد أو العملة الأجنبية هو الجهاز المصرفي الأردني والجهاز المصرفي الاسرائيلي. على الرغم من ذلك فان تلك التحويلات لعبت دورا هاما في تمويل العجز في الميزان التجاري وميزان الخدمات والواردات السلعية لهما . ففي الضفة الغربية [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

المالية من أبنائها في الخارج في تمويل العجز في الميزان التجاري لها ، حيث بلغت عام ١٩٧٤ ما نسبته ٣١ر٩١٪ من العجز في الميزان التجاري، وفي عام ١٩٨٤ أصبحت قيمتها تزيد على قيمة ذلك العجز، بحيث أصبحت تساوي ٨٨ر١٢٠٪ منه. وفي عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦ بلغت قيمة التحويلات كنسبة مئوية من العجز في الميزان التجاري للضفة الغربية الى ٥٢ر١٠٦٪ و ٤٩ر٩٦٪ على التوالي. كذلك الأمر بالنسبة للعجز في ميزان الخدمات فقد لعبت تلك التحويلات دورا بارزا في تمويله، حيث تراوحت النسبة المئوية لتلك التحويلات من حجم العجز في ميزان الخدمات للضفة الغربية ما بين ١٠ر٩٩٪ عام ١٩٧٤ و ٣ر٢٦٠٪ عام ١٩٨٦. وبالنسبة لقطاع غزه فقد زادت قيمة التحويلات المالية من العاملين بالخارج من أبنائه من حجم العجز في الميزان التجاري له خلال الفترة من عام ١٩٧٤ – ١٩٨٦ من ٥٩ر١٤٪ عام ١٩٧٤ الى ٩ر١٠٠٪ عام ١٩٨١، كذلك الأمر ازدادت أهمية تلك التحويلات بالنسبة لحجم العجز في ميزان الخدمات خلال نفس الفترة من ٧٦ر٣٧٪ عام ١٩٧٤ الى ٣٤ر٥٦٨٪ عام ١٩٧٩ .

والتحويلات المالية فاقت أيضا أهمية الصادرات السلعية للضفة الغربية وقطاع غزه، كما لعبت دورا بارزا في تمويل وارداتهما السلعية أيضا. ففي الضفة الغربية ارتفعت نسبة تلك التحويلات من اجمالي صادراتها السلعية عن الفترة من عام ١٩٧٤ – ١٩٨٦ من ٣٤ر٣٥٪ عام ١٩٧٤ الى ٣٦ر١٤١٪ عام ١٩٨٤، كذلك ارتفعت نسبة تلك التحويلات من اجمالي الواردات السلعية للضفة الغربية من ٧٥ر١٦٪ عام ١٩٧٤ الى ٤٩ر٦٥٪ عام ١٩٨٤، وفي عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦ انخفضت الى ١٨ر٦٢٪ و ٠٦ر٥٠٪ على التوالي . ويمكن ملاحظة نفس الشيء بالنسبة لقطاع غزه (أنظر الجدول رقم ١٤).

اضافة الى ما تقدم فان أهمية التحويلات قد أصبحت أكثر وضوحا عند مقارنتها بمصادر الدخل الأخرى مثل أجور ودخول العاملين من الضفة الغربية وقطاع غزه في سوق العمل الاسرائيلي. فقد تبيّن لنا أن قيمة التحويلات المالية من أبناء الضفة الغربية العاملين بالخارج كنسبة مئوية من أجور العاملين في سوق العمل الاسرائيلي قد ارتفعت من ١٢ر٢٨٪ عام ١٩٧٤ الى ١٢٠ر١٪ عام ١٩٨٥. وفي قطاع غزه فان تلك النسبة قد ارتفعت من ١٨ر١٦٪ عام ١٩٧٤ الى أعلى نقطة لها عام ١٩٨٥ فبلغت ٨٠ر٨٢٪ .

من الآثار الاقتصادية الأخرى للهجرة التي اتضحت لنا هو اعتماد الدخل القومي للضفة الغربية وقطاع غزه على التحويلات المالية المتأتية من العاملين من أبنائه في الخارج. ففي الضفة الغربية زاد نصيب التحويلات المالية للعاملين بالخارج في اجمالي الناتج المحلي من ٨٪ عام ١٩٧٤ الى ٢٣ر٢٢٪ عام ١٩٨٤، وفي عام ١٩٨٥ وصل نصيبها منه الى ٤٤ر٢١٪ ، وفي عام ١٩٨٦ انخفض ذلك

Digitized by Birzeit University Library

الى ٢٠ر٩٣٪ . كذلك تبيّن لنا أيضا أن نصيب التحويلات المالية قد زاد في اجمالي الناتج القومي للضفة الغربية من ٦ر٢٢٪ عام ١٩٧٤ الى ٢٥ر٧٠٪ عام ١٩٨٤، وفي عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦ انخفض ذلك الى ٢٤ر٩٤٪ و ٢٩ر١٧٪ على التوالي. وفي قطاع غزه فقد ارتفع نصيب التحويلات المالية في اجمالي الناتج المحلي له من ٧ر١٠٪ عام ١٩٧٤ الى ٥٦ر٣٦٪ عام ١٩٨٤، وفي عام ١٩٨٥ وصل نصيب تلك التحويلات الى ٥٣ر٩٧٪ ، ثم الى ٤٥ر٢٤٪ عام ١٩٨٦. وبالنسبة لنصيب تلك التحويلات في اجمالي الناتج القومي لقطاع غزه، فقد زادت من ٥ر٠٥٪ عام ١٩٧٤ الى أعلى نقطة لها عام ١٩٨٥ والتي وصلت الى ٥٢ر٣٢٪ ، وفي عام ١٩٨٦ انخفض نصيبها الى ٧٨ر٢٦٪ .

كذلك تبيّن لنا أن الهجرة قد ساهمت في احداث تغيرات على معدلات وأنماط الاستهلاك في الضفة الغربية وقطاع غزه . فمعدلات الاستهلاك في الضفة الغربية لم تنخفض خلال الفترة من عام ١٩٦٣ – ١٩٨٥، باستثناء عام ١٩٧٨ عن ٨٠ر٠ وفي عام ١٩٨٥ وصل معدل الاستهلاك فيها أعلى نقطة له، حيث سجل ٩١ر٠ . أما معدلات الاستهلاك في قطاع غزه فقد تراوحت خلال الفترة نفسها، باستثناء عام ١٩٧٨، ما بين ٦٤ر٠ عام ١٩٨١ و ٨٩ر٠ عام ١٩٨٦. كذلك كان التغيير النسبي في حجم الاستهلاك ايجابيا في الضفة الغربية خلال الفترة من عام ١٩٧٤ – ١٩٨٦، أي بالزيادة باستمرار، حيث زاد سنويا خلال الفترة من عام ١٩٧٤ – ١٩٨١ بنسبة تراوحت ما بين ٧ر٩٪ عام ١٩٧٦ و ١ر٦٪ عام ١٩٧٧. وفي الفترة من عام ١٩٨٢ – ١٩٨٦ فقد تراوحت تلك الزيادة ما بين ٢ر٠٪ عام ١٩٨٢ و ١ر٦٪ عام ١٩٨٦. في قطاع غزه تراوحت نسبة الزيادة السنوية في حجم الاستهلاك خلال الفترة من عام ١٩٧٤ – ١٩٨١ ما بين ٨ر٠٪ عام ١٩٨٠ و٥ر١٦٪ عام ١٩٧٧. وفي الفترة من عام ١٩٨٢ – ١٩٨٦ فان حجم الزيادة السنوية تراوحت ما بين ٣٪ عام ١٩٨٢ و ١٠٪ عام ١٩٨٦ .

وفيما يتعلق بأنماط وعادات الاستهلاك فقد تبيّن لنا أنها تطورت باتجاه الاستهلاك الترفي، حيث لوحظ ازدياد اقتناء السلع المعمرة لدى الأسر في الضفة الغربية وقطاع غزه. وقد انعكس ذلك في ازدياد حجم الطلب على مختلف أنواع السلع المستوردة من الخارج، وبشكل خاص من اسرائيل ، وذلك نظرا لقصور الاقتصاد المحلي عن مواجهة الطلب المتزايد على السلع المعمرة .

وبالنسبة لأثر الهجرة على الاستثمار والادخار، فقد اتضح لنا أن التحويلات المالية قد ساهمت في ارتفاع معدلات الاستثمار وتفوقه على معدلات الادخار ، حيث قاربت معدلات الاستثمار خلال الفترة من عام ١٩٧٤ – ١٩٨٦ حوالي ربع الناتج القومي الاجمالي. كما تركزت أوجه الاستثمار للتحويلات المالية بصورة أساسية في مجال العقارات والمباني السكنية. وقد تبيّن لنا أن الاستثمار على شكل

Digitized by Birzeit University Library

الودائع المصرفية يكاد يكون معدوما . كما لاحظنا أيضا أن الاستثمار في المجالات الانتاجية المباشرة معدوم وذلك لعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزه، وبسبب العراقيل العديدة التي تضعها سلطات الاحتلال الاسرائيلي أمام تلك الاستثمارات.

أما عن تأثير الهجرة على سوق العمل في الضفة الغربية وقطاع غزه فقد لاحظنا وجود تزامن بين ارتفاع معدل الهجرة وانخفاض معدل البطالة فيهما وارتفاعه في حالة انخفاض معدل الهجرة . وهذه الحقيقة تشير الى أن الهجرة أدت الى تخفيض معدل البطالة في الضفة الغربية وقطاع غزه، وبالذات البطالة التركيبية Structural Unemployment ، حيث تبيّن لنا أن معظم المهاجرين هم من ذوي الكفاءات والمهارات العالية والذين لا تتوفر لهم فرص عمل في الضفة الغربية وقطاع غزه . في المقابل فقد رأينا في الفترة التي شهدت فيها الهجرة أعلى معدلاتها، وهي الفترة من عام ١٩٧٧ - ١٩٨١، حدوث اختناقات في سوق العمل في الضفة الغربية وقطاع غزه، وقد انعكس ذلك في ارتفاع معدل الأجر اليومي، وبالذات في مجال البناء، وهو القطاع الذي عانى خلال تلك الفترة من نقص شديد في الأيدي العاملة وسجل أعلى معدل للأجر اليومي بالمقارنة مع الارتفاعات في معدلات الأجر اليومي في القطاعات الاقتصادية الأخرى.

كما ساهمت الهجرة أيضا في حدوث التضخم في الضفة الغربية وقطاع غزه . فقد تبيّن وجود علاقة ارتباط قوية بين التضخم والتحويلات المالية التي دخلت الى الضفة الغربية وقطاع غزه، وسجل معامل الارتباط ذلك ٩٥ر. . الا أنه لا بد من الاشارة الى أن هناك عددا من العوامل الأخرى ساهمت بشكل جوهري في حدوث التضخم فيهما، أهمها الحاق ودمج اقتصادهما بالاقتصاد الاسرائيلي وما نتج عن ذلك من آليات أدت الى نقل التضخم من الاقتصاد الاسرائيلي اليهما عبر تلك الآليات . من تلك الآليات ارتفاع الميل المتوسط للاستيراد للضفة الغربية وقطاع غزه وبشكل خاص من اسرائيل والذي وصل في الضفة الغربية عام ١٩٨٦ الى ٤١٪ ، وفي قطاع غزه الى ١١٤٪ . ومن الآليات الأخرى هو طبيعة هيكل الواردات لهما، اذ اتضح لنا أنها تحتوي على قدر غير ضئيل من السلع الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها مثل السلع التموينية الغذائية والوقود والأدوية والمواد الوسيطة والرأسمالية التي تلزم الانتاج. فارتفاع أسعار تلك السلع يتم نقله بشكل أتوماتيكي الى الضفة الغربية وقطاع غزه . كذلك فان سيطرة النظام النقدي والمصرفي الاسرائيلي على البنية المالية التحتية Financial infrastructure للضفة الغربية وقطاع غزه ساعد أيضا على نقل التضخم اليهما، حيث ان أي ارتفاع في الأسعار في اسرائيل ينقل اليهما بشكل تلقائي عبر ذلك النظام .

Digitized by Birzeit University Library

وفيما يتعلق بأثر الهجرة على توزيع الدخل في الضفة الغربية وقطاع غزه ، فقد اتضح لنا أن الهجرة ساهمت في تغيير التوزيع الوظيفي للدخل هناك لصالح عائد عنصر الانتاج-العمل، وذلك بسبب ارتفاع دخول العمل في الخارج وأيضا بسبب زيادة متوسط الأجر الذي يحصل عليه العامل في الضفة الغربية وقطاع غزه الذي لم يهاجر، وارتفاع حجم العاملين فيهما بأجر. وفي ضوء انتماء العاملين بأجر بصورة رئيسية الى فئات الدخل المتوسط والفقيرة أو الدنيا، فان أثر الهجرة على التوزيع الشخصي للدخل هو في نفس اتجاه أثرها على التوزيع الوظيفي للدخل في الضفة الغربية وقطاع غزه، أي في اتجاه أكبر من المساواة.

وبالنسبة للآثار الاجتماعية للهجرة من الضفة الغربية وقطاع غزه فقد تبيّن لنا أنها تركزت بصورة أساسية في ثلاثة جوانب هي، آثارها على التركيب السكاني وعلى بنيان الأسره وعلى الانتاجية وأخلاقيات العمل. فقد تبيّن لنا أن كون معظم المهاجرين هم من الذكور وفي سن العمل ما بين ٢١ – ٥٠ سنة نتج عنه عدة آثار ديمغرافية في الضفة الغربية وقطاع غزه على حد سواء، أهمها ارتفاع نسبة الاناث الى الذكور وانخفاض معدلات الخصوبة وارتفاع معدلات الاعالة. ففي الضفة الغربية تبيّن لنا أن نسبة الاناث ضمن فئات العمر ما بين ٢٠ – ٥٤ عاما خلال الفترة من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨٥ تراوحت ما بين ٥٢ر٧٪ عام ١٩٨٢ الى ٥٤ر٧٪ عام ١٩٧٤. أما في قطاع غزه فان نسبة الاناث ضمن فئات العمر ما بين ٢٠ – ٥٤ عاما خلال نفس الفترة تراوحت ما بين ٥٦ر٤٪ و ٥٢ر٧٪. كذلك اتضح لنا أن عدد الذكور لكل ألف انثى في قطاع غزه تراوح خلال الفترة من ١٩٧٤ – ١٩٨٥ ما بين ٩٧٠ ذكر لكل ألف أنثى و ٩٩٦ ذكر لكل ألف أنثى. وفي الضفة الغربية فقد تبيّن لنا أن عدد الذكور لكل ألف أنثى خلال الفترة ١٩٨٠ – ١٩٨٥ ما بين ٩٩٦ ذكر لكل ألف أنثى و ٩٩٠ ذكر لكل ألف أنثى. كذلك اتضح لنا أن معدل الخصوبة العام في الضفة الغربية قد انخفض خلال الفترة من عام ١٩٧٤ – ١٩٨٤ من ٤٣ر٤٤ بالألف الى ار١٧٧ بالألف، أما معدل الخصوبة الاجمالي فقد انخفض لنفس الفترة من ٥ر١١٧ بالألف الى ٤ر٨٥ بالألف. وفي قطاع غزه فان معدل الخصوبة العام انخفض خلال نفس الفترة من ٥ر٢٤٨ بالألف الى ٧ر٢١٥ بالألف، ومعدل الخصوبة الاجمالي انخفض أيضا من ١٢٠ بالألف الى ٧ر١٠٣ بالألف. وبالنسبة لمعدل الاعالة فقد اتضح لنا أنه كان مرتفعا بالمقارنة مع معدل الاعالة في الدول النامية والدول العربية الأخرى. ففي الضفة الغربية تراوح ذلك المعدل خلال الفترة من ١٩٦٨ – ١٩٨٤ ما بين ٦ر٢ شخص و ٥ أشخاص. وفي قطاع غزه فقد تراوح ذلك المعدل ما بين ٦ر٧ شخص و ٥ره شخص.

وفيما يتعلق بأثر الهجرة على بنيان الأسره فقد اتضح لنا قيام المرأة في

Digitized by Birzeit University Library

الأسر التي هاجر رب أسرتها بدور أساسي في اتخاذ القرارات العديدة المتعلقة بتلك الأسره ولا سيما تلك الخاصة بالاستهلاك والتعليم وشؤون الأسره الأخرى ، بما في ذلك تربية الأطفال وتنشئتهم.

أخيرا فان الهجرة تركت آثارا سلبية على الانتاجية وأخلاقيات العمل والقيم في كل من الضفة الغربية وقطاع غزه، وقد نتج ذلك عن الفروق الاجرية الكبيرة بين تلك التي يحصل عليها العاملون المهاجرون وتلك التي يحصل عليها العاملون الذين لم يهاجروا، حيث ولدت تلك الفروق لدى الفئة الأخيرة سلوكا يوصف باللامبالاة وعدم الاهتمام واللامسؤولية .

جامعة بيرزيت
20-07-1988
Library
BIRZEIT UNIV

Digitized by Birzeit University Library

مكانة السكان الفلسطينيين
في حياة الاردن الاقتصادية والسياسية - الاجتماعية
في الخمسينات

د . محمد شحادة

في مطلع الخمسينات ، دخل النضال السياسي في الاردن ، مرحلة جديدة اكثر تقدما. وانتفض سكان المناطق الفسطينية بحزم ، ضد ضم فلسطيني الشرقية الى شرقي الاردن . "ففي اعوام ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، جرت مظاهرات حاشدة، تحت شعار اقامة دولة عربية فلسطينية ديمقراطية" . (١ : ٣١٨) . وجرت مثل تلك المظاهرات خاصة في نيسان عام ١٩٤٩ ، تحت قيادة عصبة التحرر الوطني (٢) ، في مدينة نابلس . كما جرت مظاهرات في مدن طولكرم وجنين ورام الله والخليل ، رفعت خلالها مطالب باقامة دولة فلسطينية ، كما رفعت شعارات :" تسقط المؤامرة الامبريالية" ، "تسقط مشاريع الملك عبد الله" . (٧:٣ ، ٢٦٣:٤) . وفي ١٣ كانون الثاني عام ١٩٥٠ ، عقد اللاجئون الفلسطينيون مؤتمرا ، اعلنوا فيه ، انهم لن يشاركوا في الانتخابات ، التي حددت الحكومة الاردنية موعدها في نيسان عام ١٩٥٠ . (٢٦٤:٤ ، ١٣٥:٥) . وقد قاطعت القوى الديمقراطية التقدمية، والاحزاب السياسية ، وفي مقدمتها الشيوعيين الفلسطينيين العرب ، في عصبة التحرر الوطني ، تلك الانتخابات ، وطالبت باقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة .

لقد كانت المعارضة السياسية للنظام الاردني ، اكثر نشاطا في اوساط الفلسطينيين . وبدأت في البلاد اعمال نشطه للاحزاب السياسية . وقد زادت وترسخت الاتجاهات التقدمية والوعي الوطني . واصبحت مدينة القدس مركزا للكفاح السياسي والدعائي الفعال ، ضد الملك عبد الله ، وضد حكومته . (٦٩:٦-٧٠ ، ١٠٠:٧-١٠١ ، ٢٢:٨-٢٤) .

وفي بداية العام ١٩٤٩ ، اصدرت مجموعة من المثقفين الفلسطينيين ، في القدس ، جريدة "الشعب" . وفي تشرين الثاني عام ١٩٤٩ ، بدأت بالصدور في عمان ، جريدة "

Digitized by Birzeit University Library

منظمو هذه المجلة ، اعضاء منظمة للمعارضة ، من عداد المواطنين الفلسطينيين والاردنيين . وفي السنة ذاتها ، وفي عمان ، تأسس فرع لحزب البعث العربي ، بزعامة امين شقير ، وانضم اليه فيما بعد عضوا البرلمان الاردني الفلسطينيين : عبد الله الريماوي وعبد الله نعواس . (١٩٣:٩ ، ١٩٤-١٩٥) .

وفي شباط عام ١٩٥٢ ، تقدم البعثيون بطلب الى الحكومة ، للسماح لهم باقامة حزبهم . لكن الحزب لم يتأسس الا في ٢٨ اب عام ١٩٥٥ . (٥٩٨:١٠ ، ٩:١١-١٠ ، ٤:١٢) .

واضافة الى ذلك ، ففي عام ١٩٥٢ ، ظهرت في الاردن ، حركة القوميين العرب ، برئاسة جورج حبش ووديع حداد . وفي ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٥٢ ، تاسس حزبان اسلاميان - "حزب التحرير الاسلامي" وحزب "الاخوان المسلمين" . وفي نفس السنة ، تأسس حزب الاتحاد الوطني . (١٩٥:٩-١٩٦ ، ٩:١١ ، ٩٠:١٢ ، ١٠١) . وكانت ظهرت في تشرين الاول عام ١٩٥٠ ، مجموعة معارضة في الاردن ، بزعامة سليمان النابلسي (٩٥:١٢ ، ٥٣:١٢) . وعلى اساس هذه المجموعة ، تأسس الحزب الوطني الاشتراكي ، بزعامة هزاع المجالي ، واصبح يقف على راس الحزب ، منذ تشرين الاول عام ١٩٥٤ ، سليمان النابلسي (٩٥:١٢-٩٦ ، ٧٢:١٣) .

وهكذا ، فانه بعد ضم المناطق الفلسطينية ، واغتيال الملك عبد الله ، وفي تموز عام ١٩٥١ ، نشطت في الاردن الحياة السياسية . وراحت الاتجاهات المعارضة ، تتسرب في بداية الخمسينات ، الى صفوف الجيش الاردن . (رغم ان النظام الاردني ، اختار الكوادر العسكرية ، بشكل اساسي ، من اوساط الشرق اردنيين ، فقد كان في الجيش حوالي (٢٥) الف ضابط وجندي فلسطيني . اقتبس عن (٥٧:١٤) . وتشكلت منظمة "الضباط الاحرار" ، التي كان في قيادتها علي ابو نوار ومحمود الروسان . وقد اصدرت المنظمة في عام ١٩٥٢ ، اول منشور سري لها . غير ان نشاطات المنظمة لم تظهر بوضوح ، الا في احداث عام ١٩٥٥ ، والسنوات اللاحقة . (٦٨:٦ ، ٧٢-٨١ ، ١٠٠:٧-١٠١ ، ١٠٨-١٠٩ ، ٣١:١٥) . وقد طالبت منظمة الضباط الاردنيين الاحرار ، باجراء تغييرات سياسية في البلاد ، وبالقضاء على نظام الملك عبد الله . وكما يكتب عبد الله التل ، الذي شارك في الحرب الفلسطينية ، فانه في نيسان عام ١٩٤٩ ، كان الامير طلال ، ولي عهد عبد الله ، وافق على قيام انقلاب حكومي ، يتم في اثره طرد غلوب وكافة الضباط الانجليز من الجيش ، وكذلك صنائع الانجليز في الحكومة ، وعلى رأسهم رئيس الوزراء توفيق ابو الهدى . (استشهد بـ ١٠٦:٧ ، ٩٤:١٦ ، ١٠٨) .

وهكذا ، فان السكان الفلسطينيون في الاردن ، الذين شكلوا حوالي مليون انسان ، والذين فاقوا بعددهم مرتين تعداد السكان الاصليين / (٦٥٪) من المجموع الاجمالي للسكان / . (١٠٩:٧ ، ١٢(٢٧) اخذوا يعلبون دورا بارزا ، في الحياة الاقتصادية والسياسية - الاجتماعية للبلاد . فقد كان تعداد السكان الفلسطينيين ، في كل مدينة اردنية تقريبا ، يساوي عدد السكان الاصليين . (١٩٢:٩ ، ١١٧:١٧) . وطالما ان السكان الفلسطينيين في الاردن ، كانوا اكثر تطورا في النواحي الاقتصادية والسياسية - الاجتماعية ، فانهم لعبوا دورا نشطا في الحياة السياسية والاجتماعية للبلاد ، كما انهم لعبوا دورا هاما في تعزيز مواقف المعارضة الاردنية .

لقد كانت لدى رعايا الدولة الاردنية الجدد ، خبرة كبيرة في الكفاح ضد الاستيطان الصهيوني لفلسطين ، وضد السياسة الامبريالية لسلطات الانتداب البريطانية ، ولذلك فقد مثلوا قوة سياسية

Digitized by Birzeit University Library

مؤثرة في الدولة الجديدة . لقد كان الفلسطينيون حملة افكار اجتماعية وتقدمية ، عن المساواة والعدالة . (١٢:٣٨-٣٨) .

ومنذ بداية الضم ، احتل الفلسطينيون موقعا اكثر نشاطا ، ادى الى تنظيم الحركة القومية - الوطنية ، والى تشكيل الاحزاب السياسية : الحزب الشيوعي الاردني ، حزب "البعث" ، حركة القوميين العرب . وقد شكلت هذه القوى السياسية ، معارضة للنظام الملكي ، ذلك انها كانت تقف في مواقع وطنية - قومية ، ومناهضة للصهيونية والامبريالية .

غير انه يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ، ان الفلسطينيين لم يصبحوا على الفور ، قوة سياسية مؤثره في الدولة ، فهم مع مرور الوقت فحسب ،اخذوا يحتلون اماكن في حكومة الاردن ، وفي البرلمان . ان النظام الاردني ، لم يستطع ادارة دفة البلاد ، كما كانت عليه الحال في السابق . وفي اقل من سنتين على وجود الفلسطينيين في الاردن ، جرى سن دستور جديد (٥ كانون الثاني عام ١٩٥٢) ، ذلك الدستور الذي اعلن عن مسؤولية مجلس الوزراء امام البرلمان . (لمزيد من التفاصيل حول الدستور الاردني - انظر - ١٢:٩٣-٩٨ ، ١٨:٣٢-٣٦).

وفي نتيجة النشاطات السياسية للفلسطينيين (١٩٥١ - ١٩٥٥) ، تبدل التركيب السياسي للاردن بشك لملحوظ . فبالنشاط المشترك مع المعارضة الشرق اردنية ، طالب الفلسطينيون بتغيير النهج السياسي الخارجي للاردن . وفي اواسط الخمسينات ، شكلت المعارضة ثلث النواب ، في البرلمان الاردني . (اقتبس عن - ١٧:١١٨ ، ١٢٠) .

ورغم ان ، كبار ملاكي الاراضي من الفلسطينيين ، اصبحوا حلفاء رأس السلطة والاوساط الحاكمة الشرق اردنية ، فان حكام الاردن في شخص الطبقات المستغلة في المناطق الفلسطينية ، منافسا خطيرا . فالوزن الاجتماعي والسياسي لكبار ملاكي الاراضي الفلسطينيين ، لم يكن كبيرا الى تلك الدرجة ، في حياة فلسطين الشرقية .واضافة الى ذلك ، فان العديد من الاقطاعيين الفلسطينيين . فقدوا ممتلكاتهم من الاراضي ، في نتيجة السياسة الانجليزية في عهد الانتداب والحرب الفلسطينية ، ولذلك فان سياسة عبد الله الموالية للانجليز ، كانت غير مقبوله لديهم . وكان للشرائح المختلفة من البرجوازية في الضفة الغربية ، تأثير ملموس ، تلك الشرائح ، التي وجه الاتجاه السياسي للاقطاعيين الشرق اردنيين ، ضربة جدية ، لمصالحها الطبقية ، (١٩:١٢٠)

وبعد الضم ،اخذت المجموعات المناهضة للامبريالية في الحركة الوطنية ، تلعب دورا بارزا ، في الحياة السياسية للمناطق الفلسطينية في البلاد . وتصدر رجالاتها فيما بعد دون منازع ، المنظمات الاساسية البرجوازية - القومية الاردنية .

لقد تأثر التطور الاقتصادي للاردن ايضا ، بتأثير واسع للعامل الفلسطيني . فقد كان يعود للفلسطينيين ، البنك ، اكبر بنك في الشرق الاوسط . وبدأت تتشكل في الاردن البرجوازية . وفي النتيجة فان هذه العوامل ، ادت الى ظهور طبقه وسطى ، كان هيلكها يتكون من الفلسطينيين (١٧:١١٧).

لقد شكل الفلسطينيون من سكان جزءا هاما من القوى المنتجة في البلاد ، ويعود هذا في المقام الاول ، الى العمال والفلاحين والموظفين ، لقد كانت البرجوازية الفلسطينية ، اكثر نشاطا ، واكثر قوة من برجوازية شرقي الاردن ، ولذلك احتلت مكانة مسيطرة في اقتصاد البلاد . وفي عام ١٩٥٤ ، كانت توظيفات رأس المال في الانتاج الـ

Digitized by Birzeit University Library

منها في عام ١٩٥٠ ، كما ان عدد المشاريع التي كان يعمل فيها اكثر من خمسة عمال ، زادت تقريبا على ثلاث مرات ، وشكلت ٤٢١ مشروعا و ٨١٩٨ عاملا . (في نهاية عام ١٩٥٠ ، كان في المنطقة الشرقية (٥٣) مشروعا حرفيا - صناعيا / يعمل في كل منها عدد اكثر من خمسة عمال / ورأس مال موظف قدره (٧٣٧) الف دينار ، والعدد الاجمالي للعمال والموظفين (١١٧١) شخصا . وكان الفلسطينيون قد اسسو بعد الضم اكثرية هذه المشاريع.انظر ١١٦:١٣ ، ١١٨:٢٠ ، ٦٩:٢١) .

لقد اصبحت المناطق الشرق اردنية ، بعد الضم ، مركزا للحياة السياسية والاقتصادية للدولة الجديدة . وبسبب التهديد المستمر من جانب المعتدين الاسرائيليين ، فان الضفة الغربية لم تكن منطقة للتدابير الاقتصادية الجدية . (لمزيد من التفاصيل راجع - ١٢٢:٢٠-١٢٤ ، ١٦٠:٢١) . ولذلك فقد فضل رجال الاعمال الفلسطينيين المحليين ، استمثار رؤوس اموالهم في اقتصاد المناطق الشرق اردنية . ان كافة المؤسسات الصناعية الرئيسية ، التي بنيت في البلاد بعد الضم ، اقيمت في الضفة الشرقية . وعليه فحتى نهاية الخمسينات ، كان قد تركز في شرق الاردن حوالي (٦٠٪) من العمال الصناعيين في البلاد . وهكذا فان الظروف الاجتماعية في المناطق الشرق اردنية ، كانت قد رفعت الى مستوى المناطق الفلسطينية . (١٢١:١٩) .

واثر السكان الفلسطينيون كذلك ، تأثيرا كبيرا على تطور الزراعة الاردنية ، حيث ادخل الفلسطينيون اساليب الزراعة الرأسمالية .

وقد زادت بعد الحرب الفلسطينية ، مساحات الارض المزروعة في البلاد ، في الاساس ، على حساب حراثة الاراضي البور في جنوبي البلاد ، وكذلك على حساب استشراف الانحدارات والسفوح الجبلية ، الذي قام به الفلاحون الفلسطينيون ، وخاصة في المناطق الفلسطينية . ففي اعوام ١٩٥٢ - ١٩٥٦ ، جرى استشراف حوالي (٩) الاف هكتار . (٢٣:٧٤-٧٥) .

لقد جلب الفلسطينيون الذين نزحوا الى البلاد ، معهم كميات كبيرةمن النقود / (١٠ - ٢٠) مليون جنيه فلسطيني / ، مما افضى الى مضاعفة وتاثر البناء السكني وبناء الطرق وتطوير التجارة (١٢٨:٢٠ ، ١٨:٢٢-١٩ ، ١٩٢-١٩٣ ، ٢٥:٢٤) . وهكذا فقد اصبح ليس اقل من (٨٠٪) من التجارة في عمان ، في ايدي الفلسطينيين . (لقاء شخصي مع نعيم الاشهب ، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني ، موسكو ، ٢١ اذار ١٩٨٢) .

وبعد الحرب الفلسطينية، ونزوح الاف اللاجئين الفلسطينيين الى عمان ، ارتفع عدد سكان المدينة من (٣٠) الف انسان في عام ١٩٤٧ ، تقريبا ، الى (٢٠٠) الف انسان في عام ١٩٥٢ . وفي عمان ، وكما هو الحال في كل البلاد ، تزايد بناء الطرق الجديدة ، وتطورت الصناعة والسياحة . (٤٥٣:٢٥) . واصبحت عمان - عاصمة الاردن ، مركزا للحياة السياسية والاقتصادية - الاجتماعية . فقد تواجدت فيها الهيئات القيادية ، للمنظمات الاردنية الحزبية والاجتماعية . وبعد انتهاء الحرب الفلسطينية ، بدأت تصدر في عمان على الفور ، ست صحف جديدة، سياسية - اجتماعية . (ففي تشرين الاول عام ١٩٤٩، اخذت تصدر في عمان ، على سبيل المثال ، جريدة يومية جديدة . انظر - ٥٢:١٣) .

ورغم الدور البارز ،الذي لعبه الفلسطينيون في حياة البلاد ، فانه تجب الاشارة ، الى ان اللاجئين الفلسطينيين ، لم يتمتعوا بنفس الحقوق ، التي كانت للسكان الاصليين ، ولم ينضموا الى النقابات المحلية . وكان يتوجب عليهم ، حتى يتمكنوا من الحصول على عمل ، ان يحصلوا على

Digitized by Birzeit University Library

موافقة وزارة العمل . كما انهم كانوا محرومين من الحقوق الاساسية . (٤:٢٦) . وكانت اجرة العمال منخفضة ، وخاصة في الضفة الغربية ، حيث وجد جيش كبير عاطل عن العمل . وحسب احصائيات (الاونروا) فان عدد الفلسطينيين ، الذين كانوا بدون عمل ، في اوساط الرجال وحدهم ، وصل الى (١٠٠) الف شخص . (٣٧:٢٤) . ووفقا لمعطيات وزارة الاقتصاد الاردنية فان (١٢٠) الف انسان ، في الضفة الغربية / (٢٤) الف عائلة / كانت تعيش في ظروف العوز والفقر . ان ضيق مجال الالتحاق بالعمل امام زيادة السكان كثيرة العدد ، ادى الى انه في كل سنة ، تواجد خارج البلاد ، في نطاق البحث عن العمل بين (٦٠) و(١٠٠) الف انسان . (٥٣:٢٧) . ولجأة السلطات الى توزيع العمل بين الفلسطينيين والشرق اردنيين . وقد كانت الوظائف الحكومية والادارية في ايدي الاردنيين ، بينما كان حقل الخدمات والزراعة والمهن الحرفية ، في ايدي الفلسطينيين . وقد ظل مثل هذا الوضع سائدا في الاردن حتى هذا اليوم . (لقاء شخصي مع نعيم الاشهب ، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني ، موسكو ، ٣١ اذار ١٩٨٢) .

وفي عمل ١٩٤٨ ، كان (٢٤٪) من اللاجئين الفلسطينيين ،يعملون في الزراعة ، وكان قسم مهم من الفلسطينيين يعمل في مجال الخدمات وفي الصناعة . كما تجب الاشارة ايضا، الى ان (٧٠٪) من الفلسطينيين ، الذين كانوا يعيشون في الضفة الشرقية ، وجدوا في ظروف قاسية ، في مخيمات اللاجئين ، حيث كان دخلهم منخفض للغاية (١١٨:١٧ ، ١٢٣:٢٨) .

وفي عام ١٩٤٦ ، كان يوجد في فلسطين (١٣٥) الف شخص يعملون كعمال اجراء . وقد شكل جزء مهم من هؤلاء ، بروليتاريا صناعية . وقد وجد معظمهم نفسه بعد الحرب ، في الاردن ، حيث راحوا يعملون في المؤسسات الصناعية والحرفية (٥١:١٢ـ٥٢) .

وفي الاختلاف عن العمال الشرق اردنيين ، فان البروليتاريا الفلسطينية ، كانت لها اتحاداتها المهنية القوية والمؤثرة جدا ، والتي بلغت في بداية الحرب حوالي (٣٠) الف عضو (١٣٣:١٣) .

وكانت في اوساط السكان الفلسطينيين ، فئة واسعة نوعا ما، من المثقفين التقدميين ، التي كانت مع الطبقة العاملة ،تحمل افكارا واساليب الكفاح المعادي للامبريالية . لقد ساعدت الاراء السياسية للقسم الامامي من السكان الفلسطينيين ، والاتجاهات العفوية المناوئة للامبريالية ، لجماهير السكان الاساسية ، ساعدت على تنشيط الحركة الوطنية في الاردن ، تلك الحركة التي ارتفعت الى مرحلة جديدة اعلى ، واخذت طابعا اكثر تنظيما . ان مثل اشكال هذا النضال ، كالمظاهرات والاضرابات ، التي لم تكن تقريبا معروفة في شرقي الاردن ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، اصبحت الان اشكالا اساسية .

والى جانب المطالب الاقتصادية ، اخذ العمال الفلسطينيون والاردنيون ، يطرحون مطالب سياسية ، فقد كافحوا من اجل اقرار الحريات الديمقراطية في البلاد ، ومن اجل الغاء القوانين الرجعية ، التي تمنع قيام المنظمات العماليةوالاتحادات النقابية ، ومن اجل طرد المحتلين الانجليز وعملائهم . وبالرغم من الارهاب والتنكيل ، فانه نظمت في كل انحاء البلاد المظاهرات والاضرابات . وقد كان الحزب الشيوعي الاردني ، يقف في طليعة الكفاح ضد المستعمرين الانجليز ، وضد تغلغل الامبرياليين الاميركيين في البلاد .

وكان عمال الاردن محرومين من حق اقامة الاتحادات النقابية والمنظمات الاجتماعية . ولم يتوفر الضمان الاجتماعي او التشريع العمالي . غير ان العمال وبعد نضال طويل ، اضطروا السلطات ان تسن في عام ١٩٥٣ ، القانون رقم (٣٥) [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

٣٠:٣١٤-٣١٦ ، ٣١:٥٢) .

لقد سارت الطبقة العاملة في طليعة الحركة الوطنية التحررية . وقد نمى نفوذ الفصيل الطليعي للطبقة العاملة - الحزب الشيوعي الاردني ، في تاسيس الاتحادات المهنية ، التي توحد قسما كبيرا من البروليتاريا الصناعية . وشارك العمال الاردنيون ، سوية مع كل الوطنيين في البلاد ، في كافة الانتفاضات ضد الامبريالية ، وجذبوا وراءهم الفئات البرجوازية الصغيرة ، وتلك التي كانت تتحول الى بروليتارية ، في المدينة ، وكذلك الحرفيين وصغار التجار والموظفين . وقد لعبت الاضرابات المعادية للامبريالية ، التي قام بها العمال ، الذين يعلمون في الخدمة في القواعد العسكرية الانجليزية ، لعبت دورا هاما في الكفاح ، من اجل القضاء على التسلط الامبريالي . لقد دلت نضالات الشعب الاردني المناهضة للامبريالية ، على ان "الطبقة العاملة الاردنية ، رغم قلة عددها، تستطيع ان تلعب دورا بارزا في الكفاح الوطني ضد الامبريالية والرجعية ، وان تحتلموقعا رائدا في الحركة الوطنية " . (٣٢:٢٦٩) .

وقد جرت تغييرات ملموسة في التركيب الاجتماعي لسكان الريف . فالى فلاحي شرق الاردن ، انضم مئات الالاف من الفلاحين الفلسطينيين ،الذي كانت لديهم تقاليد غنية في الكفاح ضد سياسة الارض ، التي انتهجتها السلطات الانتدابية الانجليزية ، وضد الاستعمار الصهيوني لفلسطين . ان كل ذلك لم يكن إلا ليؤثر تأثيرا جديا على النشاط السياسي للفلاحين ، سكان الاردن .

ان القوة المحركة الاساسية في الحركة الوطنية التحررية في سني الخمسينات ، كانت تتشكل من الفلاحين . وقد لعب الفلاحون في المناطق الفلسطينية على وجه الخصوص ، دورا نشطا في الكفاح المناهض للامبريالية ، الى جانب العمال والحرفيين والفئات البرجوازية الصغيرة ونصف البرولتيارية في المدينة ، وعقب ذلك ، انجذب بشكل اوسع في الكفاح الفاعل ، سكان الريف في الاردن ذاته .

وتحت تأثير سكان البلاد الفلسطينيين ، وخاصة القسم المتقدم منهم ، اخذت تظهر ، في اواسط الخمسينات ، في عدد من مناطق الاردن ، الاتحادات الفلاحية ، التي شارك في عملها بنشاط ، الشيوعيون الاردنيون والفلسطينيون .

وعن الدور الهام للسكان الفلسطينيين ، في النواحي المختلفة لحياة البلاد ، يشهد ما ظهر بعد الضم ، من اشكال جديدة ، لنضال الشعب الاردني ، الاقتصادية منها والسياسية . فقبل الضم ، اقتصرت النضالات المناوئة للامبريالية في المناطق الشرق اردنية على اعمال ونشاطات زعماء المجموعات القومية. ولم تكن الجماهير الشعبية في معظمها قد انجذبت في الكفاح التحرري النشط . وقد ظلت هنا الاشكال التقليدية البطريركية للاستغلال ، ورواسب المعاهد المشاعية العشائرية ، مما عرقل تطور الحركة الجماهيرية للشغيلة ، في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي (١٩:١٠٠ ، ١٢٢-١٢٤ ، ٢٢:٥٢-٥٣) .

ان النزاعات والصدامات الاجتماعية والسياسية في المناطق الفلسطينية ، برزت في شكل اكثر حدة ، مما اثر بعد الضم جديا ، على كل نواحي تطور البلاد .

ولدرجة محسوسة ، تفعلت نشاطات المنظمات النقابية المهنية والشبابية والنسائية والطلابية، التي كانت توجد في شرق الاردن وفلسطين قبل عام ١٩٤٩ . ففي عام ١٩٥٠ ، عقد في اريحا

Digitized by Birzeit University Library

مؤتمر عمالي ، وضع المبادىء الاساسية للحركة النقابية . وفي بداية سني الخمسينات ، ظهر اتحاد المرأة العربية ، الذي بدأ النضال من اجل حقوق المراة . وفي عام ١٩٥٣ ، تأسس مؤتمر طلاب الاردن ، الذي تحول في عام ١٩٦٣ ، الى اتحاد الطلبة الاردنيين ، التي حملت فعالياته ، طابعا معاديا للامبريالية .

وهكذا ، فبعد الحرب الفلسطينية ، وضم فلسطين الشرقية الى شرقي الاردن ، تحول الحضور الفلسطيني ، الى واحد من العوامل الرئيسية للسياسة الاردنية . لقد اشارت لجنة التطوير الاجتماعية التابعة لهيئة الامم المتحدة ، في عام ١٩٧٠ ، الى ان "اللاجئين الفلسطينيين والافراد المتنقلين ، الى جانب الانتجلنتسيا المحلية ، يشكلون قوة ، "تبدأ بالتدريج التاثير على البناء الحكومي القائم في البلدان العربية بالمنطقة" . (٢٣:٣٣) .

وهكذا ، يمكننا ان نستنتج ، ان السكان الفلسطينيين ، الاكثر تطورا ، في المجالات الاقتصادية والسياسية - الاجتماعية ، من سكان الاردن الاصليين ، احتلوا مكانة مرموقة في الحياة الاقتصادية - الاجتماعية والسياسية للبلاد . كما ان اقامة الفلسطينيين في البلاد افضى الى تنشيط الكفاح السياسي ، وتشكيل الاحزاب والمنظمات السياسية ، والى اندماج السكان الاصليين الى النضال والى انخراطهم في النشاطات السياسية. لقد ابدى الفلسطينيون تأثيرا جوهريا على كل نواحي تطور حياة المجتمع الاردني السياسية - الاجتماعية ، والاقتصادية - الاجتماعية .

الهوامش والمراجع :

٠١ توما د.اميل . جذور القضية الفلسطينية . بيروت ، ١٩٧٤.

٠٢ عصبة التحرر الوطني : هي المنظمة السياسية للشيوعيين العرب .تأسست في اواخر ايلول عام ١٩٤٣ ، في فلسطين ، في ظروف تعاظم دور الطبقة العاملة العربية ، وحركتها النقابية ، وفي ضوء تشكل تيار يساري وطني واسع للشعب العربي الفلسطيني ، وفي نتيجة الانشقاق القومي بين العرب واليهود في صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وقد قاد عصبة التحرر الوطني ، فؤاد نصار ، المشارك البارز في الكفاح المعادي للامبريالية ، وقائد الفصائل الفدائية ، اثناء الانتفاضة الفلسطينية المناوئة للانجليز (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . ان دخول العصبة ساحة النشاطات السياسية الفعالة ، اثر بشكل قاطع ، على تطور الحركة الطبقية والنقابية والسياسية للبروليتاريا في البلاد . ومنذ العام ١٩٤٩ ، دخلت عصبة التحرر الوطني ميدان الكفاح السياسي في المناطق الفلسطينية . وفي مطلع كانون الثاني عام ١٩٤٩ ، اصدرت العصبة صحيفتها "المقاومة الشعبية" . وفي نتيجة اتحاد عصبة التحرر الوطني ، في اواخر ايار عام ١٩٥١ ، مع الحلقات الماركسية الطرق اردنية ، تحولت العصبة الى الحزب الشيوعي الاردني .

٠٣ الطليعة. القدس ، العدد رقم (١٨٦) ، ٢٤ ايلول ، ١٩٨١ .

٠٤ توما د. اميل . ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية . القدس ، ١٩٧٨ .

٠٥ نصار فؤاد . الرجل والقضية . القدس ، ١٩٧٧ .

٠٦ مراد عباس . الدور السياسي للجيش الاردني (١٩٢١ - ١٩٧٣) . بيروت ، ١٩٧٣ .

7.Vatikiotisp.j. Politics and the military in Jordan : A study of the Arab Legion (1921 -

Digitized by Birzeit University Library

8. Gubser P. Politics and change in Al - Karak , Jordan : A study of a small arab town and its districts . London , Toronto , N.Y. , 1973 .

٠٩. المحافظة علي . العلاقات الاردنية - البريطانية (١٩٢١ - ١٩٥٧) . بيروت ، ١٩٧٣ .

١٠. الماضي منيب ، الموسى سليمان . تاريخ الاردن في القرن العشرين . عمان ، ١٩٥٩ .

١١. الاردن . العدد رقم (١٨) ، ١٩٧٩ (نشرة) .

12. Aruri N.H. Jordan : A study in political development (1921 - 1965) . The Hague , 1972 .

13. Patai R. The Kingdom of Jordan . N.J. , 1958 .

١٤. الخليلي غازي . سياسات النظام الاردني تجاه مسألة تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة . في مجلة : شؤون فلسطينية . بيروت ، ١٩٧٦ ، العدد رقم (٥٣ - ٥٤).

١٥. الحرية . بيروت ، العدد رقم (٩٩٦) ، ٢٩ كانون الاول ، ١٩٨٠ .

16. Abidi A.H.H. Jordan . A political study (1945 - 1957) . N.Y. , 1965 .

17. Aruri N.H., Farsoun S. Palestinian communities and the host Arab countriess . In : The sociology of the palestinians . Croom Helm , London , 1980 .

١٨. ارلوف.ي، ساشكو.ن. البناء الحكومي للاردن . موسكو ، ١٩٦١ (بالروسية) .

١٩. كوتلوف ل . ن . الاردن في التاريخ المعاصر . موسكو ، ١٩٦٢ (بالروسية) .

٢٠. حوراني هاني . التطور الاقتصادي والصناعي في الاردن وتأثيره عل تشكل الطبقة العاملة (١٩٥٠ - ١٩٥٧) . في مجلة : شؤون فلسطينية . بيروت ، ١٩٧٩ ،العدد رقم (٨٧ - ٨٨) .

٢١. ليبديف ي.أ. الاردن في النضال من اجل الاستقلال . موسكو ، ١٩٥٩ (بالروسية) .

٢٢. هلال جميل . الضفة الغربية : التركيب الاقتصادي - الاجتماعي (١٩٤٨ - ١٩٤٧) . بيروت ، ١٩٧٤ .

23. Dearden A. Jordan . London , 1958 .

٢٤. الدجاني علي . محاضرات في اقتصاديات الاردن . القاهرة ، ١٩٥٥ .

25. Mansfield P. The Arabs . London , 1978 .

٢٦. اجار يشيف أ،يوركوف أ. المشردون يقاتلون . موسكو ، ١٩٧٨ (بالروسية) .

٢٧. نصار فؤاد . طريق الاردن نحو التحرر الكامل ، الديمقراطية والتقدم الاجتماعي . في مجلة : قضايا السلم والاشتراكية . براغ ، ١٩٦٦ ، العدد رقم (١) ، كانون الثاني ، (بالروسية) .

٢٨. حبيبي اميرة . الزوج الثاني (١٩٦٧) . بيروت ، ١٩٧٠ .

٢٩. حوراني هاني . الظروف الاقتصادية والمعيشية للعمال والموظفين في الاردن (١٩٥٠ - ١٩٥٧) . في مجلة : شؤون فلسطينية. بيروت ، ١٩٧٩ ، العدد رقم (٩١) .

٣٠. ليبديف ي.أ. الاردن . في كتاب : العرب في النضال من اجل الاستقلال . موسكو ، ١٩٥٧ (بالروسية) .

٣١. توجانوفا و.أ. سياسة الولايات المتحدة الاميركية وانجلترا في الشرقين الاوسط والادنى . موسكو ، ١٩٦٠ (بالروسية) .

٣٢. كامل م. دور البرجوازية الاردنية في الحركة الوطنية . في كتاب : الحركة التحررية المعاصرة والبرجوازية الوطنية . براغ ، ١٩٦١ (بالروسية) .

٣٣. لاندا ر.ج. الكفاح التحرري لعرب فلسطين (١٩٤٨ - ١٩٦٧) . في مجلة : شعوب اسيا وافريقيا . موسكو ، ١٩٧٦ ، العدد رقم (١) ،كانون الثاني ، (بالروسية) .

Digitized by Birzeit University Library

تفاقم الازمة الاقتصادية في الاردن

ادى تفاقم الاوضاع الاقتصادية في الاردن ، الى هبوط ملحوظ في سعر الدينار ، مقابل العملات الصعبة ، وخاصة الدولار ، حيث وصل سعر الصرف الى ٣٩ قرشا للدولار ، في الوقت الذي وصل حجم الاحتياطي من العملات الصعبة حدا خطيرا ، لم يسبق له مثيل - ٢٧ مليون دولار - في وقت يزداد فيه عدد العاطلين عن العمل ، وتتفشى البطالة في اوساط العمال والاكاديميين بمن فيهم الاطباء والمهندسين ، وكانت الحكومة الاردنية ، قد اخذت بمطالب صندوق النقد الدولي القاضية بضرب القطاع العام ، وتشجيع القطاع الخاص ، وقد تناولت مجلة "الحقيقة" ، الصادرة عن الحزب الشيوعي الاردني ، الاوضاع الاقتصادية في الاردن ، نعيد نشره لاهميته:

تتفاقم الاوضاع الاقتصادية في البلاد وتزداد معاناة الجماهير الشعبية وتصبح الظروف المعاشية للكادحين اكثر قسوة . ويتضح اكثر فاكثر ان اجراءات التحالف الحاكم تزيد الامور سوءا ، خلافا للتصريحات الرسمية ذات الطابع الدعائي ، التي تحاول بث الطمأنينة في النفوس والايحاء بان السياسة الاقتصادية الحكيمة !! التي تنفذها حكومة الرفاعي كفيلة باخراج البلاد من المحنة القاسية .

فالاحصاءات الرسمية والواقع المعاش يثبتان بطلان الادعاءات الرسمية ، ويؤكدان ان حالة التدهور هي السمة المميزة للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

لقد تعمق التدهور بالنسبة للمؤشرات الرئيسية عام ١٩٨٦ قياسا لعام ١٩٨٥ ، الامر الذي يؤكد استمرار معاناة البلاد من حالة الكساد . وبالاستناد الى تقرير البنك المركزي الثالث والعشرين لعام ١٩٨٦، فقد بلغ عجز الموازنة ١٥٠ مليون دينار خلافا للتقديرات الاولية التي كانت ، ادنى من ٤٠ مليون دينار واستمرار رصيد الدين العام الداخلي والخارجي في الازدياد ، فقد ارتفع الدين العام الخارجي من ١.٥٤ر٦ مليون دينار عام ١٩٨٥ الى ١١١.ر٧ مليون دينار عام ١٩٨٦ ولا تشمل الارقام الديون العسكرية . واما الدين العام الداخلي فقد ارتفع من ٣٧٤ر٤ مليون دينار في

Digitized by Birzeit University Library

نهاية عام ١٩٨٥ الى ٤١٩،٩ مليون دينار في نهاية عام ١٩٨٦ . ومن الجدير بالملاحظة ان الدين العام الداخلي والخارجي ارتفع كذلك خلال النصف الاول من عام ١٩٨٧ . ويزداد الاتجاه نحو الاقتراض من المصادر الخارجية الخاصة رغم قسوة شروطها من حيث سعر الفائدة وفترة السماح ، الامر الذي يعكس طبيعة الضائقة التي تدفع الى اللجوء لهذه المصادر.

وتكشف العلاقة بين خدمة الدين الخارجي وعائد الصادرات السلعية الوطنية عن عمق الازمة التي يعاني منها الاقتصاد الاردني جراء تفاقم المديونية الخارجية .

			مليون دينار	
العام	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦
١ - الصادرات السلعية الوطنية	١٨٥،٦	١٦٠،١	٢٦١،١	٢٥٥،٣	٢٢٥،٦
٢ - تسديد القروض الخارجية	١٨٧،٣	١٦٢،٢	٢٣٩،٠	١٩٢،٦	٢٢٢،٤
نسبة ٢ - ١	١٠٠،٤	١٠١،٣	٩١،٥	٧٥،٨	٩٨،٦

يتضح من الجدول اعلاه ، ان خدمة الدين العام الخارجي قد التهمت ما يزيد عن كامل عائد الصادرات السلعية الوطنية في عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٣ و ٥ر٩١٪ عام ١٩٨٤ و ٧٥،٨٪ عام ١٩٨٥ وكامل العائد تقريبا عام ١٩٨٦. وتساوي خدمة الدين هذه ٢٢٪ من كامل الانفاق في الموازنة العامة و ١٥ر٨٪ من الناتج المحلي الاجمالي لعام ١٩٨٦ . وهذه مؤشرات خطرة في جميع المقاييس.

وقد انخفضت حصة الفرد الواحد من الدخل القومي الاجمالي من ٦ر٧١٤ دينار عام ١٩٨٤ الى ٣ر٦٨٥ دينار و ٨ر٦٨٣ دينار لعامي ٨٥ و ٨٦ على التوالي. وانخفضت تحويلات الاردنيين العاملين في الخارج من ٤٧٥ مليون دينار عام ١٩٨٤ الى ٩ر٤٠٢ مليون عام ١٩٨٥ و ٥ر٤١٤ عام ١٩٨٦ بينما انخفضت تحويلات العاملين في النصف الاول من عام ١٩٨٧ بنسبة ٨٪ عن نفس الفترة من العام المنصرم وبلغت المساعدات الخارجية ٥ر٢٤٠ مليون دينار عام ١٩٨٦ في حين بلغت ٥ر٣١٧ مليون دينار عام ٨٥.

واما على صعيد التجارة الخارجية فقد عانت البلاد من تقلبات حادة ليست في صالح الاقتصاد الوطني ، رغم وجود بعض المؤشرات الايجابية فقط وانخفضت القيمة المطلقة للصادرات الاردنية عام ١٩٨٦ فقد بلغت ٦ر٢٢٥ مليون دينار بينما كانت ٣ر٢٥٥ مليون دينار عام ١٩٨٥. ويأتي هذا الانخفاض في قيمة الصادرات نتيجة الانخفاض الكبير في اسعار السلع المصدرة والذي بلغ ١٤،٩٪ هذا علما ان كمية الصادرات قد زادت بنسبة ٣ر٩٪ . وهكذا يتوالى الانخفاض في قيمة الصادرات السلعية الوطنية للعام الثاني على التوالي رغم زيادة الكميات المصدرة الامر الذي يعكس جانبا من تدهور شروط التبادل التجاري.

واما على صعيد المستوردات ، فقد انخفضت في عام ١٩٨٦ بنسبة ٢٠،٩٪ حيث بلغت ٢ر٨٥٠ مليون دينار مقابل ٤ر١.٧٤ مليون دينار عام ١٩٨٥. وقد جاء هذا التبدل الكبير بسبب الانخفاض الكبير في قيمة مستوردات النفط ، والتي بلغت ٨ر٩٢ مليون دينار عام ١٩٨٦ مقابل ٦ر١٩٢ مليون دينار عام ١٩٨٥ ، اي ان الانخفاض بلغ حوالي ١٠٠ مليون دينار. واما الشريحة الثانية التي اثرت على قيمة المستوردات فهي انخفاض قيمة المستوردات من اللحوم والحيوانات الحية وكذلك من القمح ودقيق الحنطة بنسبة ٩ر٣٤٪ و ٩ر٤٣٪ على التوالي. ونتيجة لهذه التبدلات في اسعار بعض المواد المستوردة وفي غيرها كذلك فقد انخفضت اسعار المستوردات بشكل عام بنسبة ١ر٢٤٪ قياسا لعام ٨٥.

فكان يفترض ان ينعكس الانخفاض في اسعار المستوردات على الاسعار المحلية خاصة بالنسبة للنفط والعديد من المواد الاستهلاكية الاخرى ، ولكن ذلك لم يحصل ابدا ، بل حافظت

Digitized by Birzeit University Library

!الدولة على الاسعار المرتفعة واستولت على الملايين المتأتية من جراء ذلك لدعم خزينة الدولة . واذا كان مثل هذا الاجراء يشكل هجوما حقيقيا على مستوى معيشة الجماهير ، فانه من الناحية الاخرى يتسبب في الحاق الاذى في الانتاج المحلي ورفع اسعاره بسبب ارتفاع التكاليف الناجمة عن ارتفاع سعر الوقود ، وهكذا فان انخفاض العجز في ميزان التجارة الخارجية لم يكن بسبب سياسة الحكومة كما تدعي الاجهزة الرسمية بل جاء نتيجة التبدل في الاسعار على الصعيد العالمي.

لقد ادى التدهور الكبير في بعض المؤشرات الهامة الى النقص الكبير في احتياطي البلاد من العملات وذلك حسب تصريحات المسؤولين الاردنيين للصحف الاجنبية . ومن الملاحظ ان المسؤولين الاردنيين يلجأون الى الديون الخارجية لمواجهة الالتزامات الخارجية وعجز الموازنة التنامي ، واذا كان هذا يشكل حلا مؤقتا وانيا للمشاكل الماثلة ، الا انه يغرق الاقتصاد الاردني في مشاكل يصعب الافلات منها.

ومن ناحية اخرى فان قطاعات الانتاج السلعي تعاني من مشاكل جمة . واذا كانت الصناعة الاستخراجية تعاني من انخفاض اسعارها في السوق العالمية فان الغالبية من شركات الصناعات التحويلية والمواد الاولية والوسيطة تعاني من مشاكل حادة كذلك ، كما هو الحال مع صناعة الاسمدة والاسمنت والجير والطوب والاخشاب والزجاج وغيرها الكثير وتنجم مشاكل معظم هذه الشركات عن الارتفاع الكبير في تكلفةالانتاج وسوء ادارة الشركات الصناعية والغش والتلاعب في تصميم وتنفيذ العديد من المصانع والذي تم على ايد الشركات الاجنبية وعملائها وسماسرتها في الداخل. كما تعاني بعض المنتجات الصناعية من مزاحمة المنتجات الاجنبية الامر الذي دفع بالمطالبة بحماية اغلاقية لبعض المنتجات الوطنية . ان جزءا هاما من الصناعة المحلية قد اقيم بهدف التصدير الى الخارج ، ولكن بدون اية دراسة واقعية للاسواق الخارجية ولاحتمالات الاستمرار في التصدير . وتواجه مثل هذه الصناعات حالة من الكساد الكبير بعضها مهدد بالافلاس والبعض الاخر يجري حقنه بمختلف المساعدات للحفاظ عليه.

وليس وضع قطاع الزراعة احسن حالا ، فالانتاج الزراعي لم يعد موجها لتلبية الحاجات الاساسية للسكان وفي مقدمتها انتاج الحبوب وخاصة القمح ، كما انخفض انتاج الحبوب للاعلاف كالشعير واصبح الاردن مستوردا للقمح والدقيق والشعير والعدس والحمص بعد ان كان مصدرا لهذه المنتجات وازداد انتاج البلاد من الخضار والفواكه ، وبدون سرد امثلة كثيرة او استشهادات فان خسائر المزارعين تتوالى كل عام بسبب عدم توفر اسواق خارجية لهذه المنتوجات ، وقد حل الخراب بالمزارعين الذين يعانون من تراكم الديون ومن فشل السياسات الزراعية . ولا يوجد سياسة وطنية للحفاظ على المياه ، والتحكم في استعمالاتها. ولذلك فان البلاد مهددة بكارثة نتيجة نضوب المياه الجوفية وارتفاع نسبة الملوحة في العديد من مصادرها بحيث انها لم تعد تصلح للاستخدام البشري وفي حال زيادة نسبة الملوحة ستكون غير صالحة للري كذلك .

وكلنا يعرف ازمة انتاج الدجاج والبيض ، وكيف ان العديد من المزارع قدافلست. واما الثروة الحيوانية فانها اصبحت متدنية جدا ، الامر الذي يستدعي الاستيراد السنوي من الحيوانات الحية واللحوم المختلفة من الخارج ، وبشكل عام فان انتاج الغذاء للفرد الواحد من السكان يتناقص كل عام وتنخفض نسبة الاكتفاء الذاتي من الغالبية الساحقة من المنتجات الزراعية والغذائية المحلية.

وبجانب التدهور الهائل في المؤشرات المالية وفي

Digitized by Birzeit University Library

مؤشرات التجارة الخارجية ، وفي اوضاع قطاعات الانتاج المادي كالصناعة والزراعة ، فان الازمات الاجتماعية اخذت تتعمق.

يبدو من الارقام الرسمية ان متوسط حصة الفرد من الدخل القومي اخذت تتناقص خلال السنوات الثلاث المنصرمة على التوالي ، في ظل التفاوت الواسع في المداخيل بين طبقات وفئات المجتمع ، فان ذلك يعني ان دخل الكادحين وجماهير الشغيلة سينخفض بنسب عالية ، خاصة واننا في مجتمع غير مثبت فيه الحد الادنى للاجور . ومع تفاقم حالة البطالة وانتشارها لتشمل مختلف فئات قوة العمل ، فقد اخذ المعدل للاجور خارج اجهزة الدولة يميل للانخفاض الحاد. واخذت بعض الشركات والمؤسسات تشترط تقليص رواتب واجور العاملين لاستمرارهم في العمل . وتقف اجهزة الدولة المختلفة عاجزة عن معالجة الهجوم الشرس على مداخيل العاملين باجر ، كما تقف الدولة بسبب سياستها عاجزة عن توفير فرص العمل وتخفيف حدة البطالة ، وتصبح قضية البطالة معقدة ليس فقط بسبب عدم قدرة الاقتصاد الوطني على استيعاب قوة العمل الجديدة ولكن كذلك بسبب عودة الكثير من العاملين في الخارج ، وبسبب الانخفاض في الاستثمار المحلي. ان لجوء العديد من الشركات والمؤسسات الى تقليص العاملين يفاقم قضية البطالة . ويزداد الوضع سوءا نتيجة وجود قوة العمل الوافدة ونتيجة غض النظر عن الشركات الاجنبية التي تتجاوز قوانين وانظمة البلاد وتجلب معها المهندسين والخبراء وفي بعض الحالات العمال اليدويين كذلك.

واذا كانت حالة الكساد والانحسار الاقتصادي في البلاد وفي الدول الخليجية فجرت حالة البطالة ، فان سياسة التوظيف التي تتبعها الدولة تشكل سببا هاما بالنسبة لبطالة خريجي الجامعات وذوي الاختصاص كالاطباء والمهندسين وغيرهم.

ان تعمق التفاوت الطبقي والاجتماعي ، وزيادة بؤس الجماهير الشعبية ، وسط مظاهر العسف والفساد التي يمارسها اطراف التحالف الحاكم قد زاد من نسبة الجريمة في المجتمع ، اذ لا يمر يوم دون ان نقرأ او نسمع عن عدة جرائم سببها الاساسي التفاوت الاجتماعي والفردية القاتلة التي نمت وترعرعت في ظل الطفرة النفطية .

ولكن كيف تعالج الدولة الازمة الاقتصادية؟

ان الاساس الذي تستند اليه الدولة في معالجة الوضع الاقتصادي المتأزم هو تعليمات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، والاساس في هذه التوصيات التي تستخدم للتكيف مع الازمة الاقتصادية هي :

١) تكبير دور القطاع الخاص والتخلي عن القطاع العام وتصفيته.

٢) تقليص العجز في الموازنة العامة عن طريق تقليص الانفاق في مجالات الصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية .

٣) انهاء دعم السلع الاستهلاكية والمواد الضرورية.

٤) تخفيض قيمة العملة الوطنية لتقليص الطلب المحلي وزيادة الصادرات الى الخارج.

ومن الواضح ان هذه الوصفة ذات مردود اجتماعي قاس ، لانها موجهة ضد مصالح الكادحين والفقراء وجميع ذوي الدخل المحدود . وقد عانت الكثير من الدول من جراء تطبيق هذه الوصفة ، ومن بينها العديد من الدول العربية ، مصر وتونس والمغرب.

وفي الاردن ، فقد ابتدأ تنفيذ عمليات التخلي عن القطاع العام بشكل تدريجي لصالح القطاع الخاص في ظل الاستشارة المباشرة وكذلك الدراسة المباشرة من قبل هيئة المساعدة الامريكية ،

Digitized by Birzeit University Library

وتتخذ الترتيبات حاليا للتخلي عن مؤسسة المواصلات السلكية واللاسلكية وشركة الطيران ومؤسسة النقل البري. وان حجة تحسين ادارة هذه المؤسسات التي يجري تحت مظلتها التخلي عن القطاع العام لا يمكنها ان تخفي النتائج السلبية الكثيرة ، والتي من اهمها اضعاف دور الدولة في عملية التراكم الرأسمالي واعادة استثماره وفق اولويات اقتصادية واجتماعية ، وكذلك تفويت ايرادات محققة لخزينة الدولة . والامر الهام في هذا الصدد هو احتمالات تقليص العاملين في هذه المؤسسات الامر الذي سيزيد البطالة بدلا من تخفيف وطأتها.

ولتخفيف العجز في الموازنة ، فانه يتم اتخاذ الترتيبات القانونية والاجرائية لاقامة المؤسسة الطبية العلاجية ، والتي ستتولى العلاج الطبي على اسس تجارية بينما ستمارس وزارة الصحة والهيئات التابعة لها الطب الوقائي. وبذلك سيتقلص الانفاق على الصحة العامة وسترتفع تكاليف الطبابة بالنسبة للجماهير الشعبية .

ولاشيء ذاته يجري بالنسبة للمواطنين في مختلف المراحل وبالتالي تقليص حصة التعليم في موازنة الدولة .

واما دعم السلع الاستهلاكية الضرورية وغيره من اشكال الدعم ، فانه يتلاشى نهائيا في ظل الوفر الهائل المتكون من فرق اسعار النفط والعديد من السلع المستوردة الاخرى التي تباع محليا باسعار مرتفعة ، وبالعكس فان المواطنون يدعمون الخزينة.

وهكذا يتضح ان اجراءات الدولة تتجه كلها لتحميل الجماهير الكادحة اعباء نتائج الازمة الاقتصادية والاجتماعية في ظل تنفيذ توصيات صندوق النقد الدولي للتكيف الاقتصادي. ولا يمكن تبديل هذا التوجه في ظل الضغط الجماهيري الوطني من اجل انتهاج سياسة اقتصادية مستقلة وبالاستناد الى مشاركة الجماهير في الحياة العامة من خلال تمتع المواطنين بالحريات الديموقراطية.

Digitized by Birzeit University Library

من اعمال التحضير للكونفرنس الحزبي التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي

غورباتشوف في نقاش مفتوح مع المسؤولين في الصحافة السوفييتية

جرى في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في ٧ ايار لقاء مع المسؤولين في وسائل الاعلام والمؤسسات الايديولوجية والاتحادت الابداعية . وقد افتتح ميخائيل غورباتشوف اللقاء قائلا:

"اود تكريس اللقاء اليوم للكونفرنس الحزبي التاسع عشر المقبل . اننا نرى ان المجتمع والحزب قد انخرطا في عملية الاعداد له . لذا من الضروري تحديد اتجاهات الاهتداء."

"لقد اعتمدت الصحف والمجلات الزوايا المناسبة وبدأت في الواقع المناقشة ، وبالمناسبة لا في اطار الحزب فحسب ، بل انها مناقشة شعبيةعامة . واعتقد بان لدى وسائل الاعلام بعض الخبرة في هذا المجال وقد اكتسبت بعض الاشياء ، وانبثقت مختلف المسائل،لهذا اقترح ان تدلوا باحكامكم ايها الرفاق وان تطرحوا المسائل. ومن ثم اتحدث انا. واذا لم تكن لديكم اعتراضات فاننا سنعمل عل هذا النحو."

كان اول من تحدث رئيس تحرير مجلة الاتحاد السوفييتي غريباتشو . وقد قال ان جميع المواطنين السوفييت ينتظرون الكثير جدا من الكونفرنس الحزبي ولكن يلاحظ الان بين الشيوعيين ، كما يخيل لي ، شيء من السلبية ، وينتظر جزء منهم في اي اتجاه سيفتح الباب.

لقد اصبح موضة الان العوم في انهر التاريخ. وانني اسمح لنفسي ايضا بذلك. لقد اعد الحزب الثورة وحقق الحزب الثورة بقيادة لينين ، وعلى الحزب ان يواصل الثورة . بيد ان هذا مستحيل من دون وحدة صفوف الحزب ومن دون المسؤولية الجدية لكل شيوعي،انه مستحيل فحسب ايها الرفاق العزاء . لقد طرح لينين مرارا مسألة وحدة الحزب. واعتقد بان هذه المسألة لا بد ان تطرح بهذا الشكل او ذاك في الكونفرنس الحزبي ايضا.

واود الان قول بضع كلمات عن الصحف والمجلات التي نمثلها . ان دور الصحافة ، بما في ذلك في الاعداد للكونفرنس الحزبي ، كبير جدا. ومن المهم بخاصة الان ان نعرف هل كل شيء

Digitized by Birzeit University Library

على ما يرام في سلكنا الصحفي؟ وهل نتخذ دوما موقفا يتسم بالمسؤولية من القضية؟

ثم طور المتحدث هذه الموضوعة فتكلم عن ضرورات بحث وقائع التاريخ بصورة مبدئية وشريفة ومن مواقف حزبية ، وتلافى تبسيطها والموقف الباطل من اكثر المشاكل حدة، وان مثل هذه المواقف ليست نادرة بعد في صحافتنا.

تحدث رئيس تحرير مجلة "معاصرنا" فيكولوف فقال: سيدور الحديث في الكونفرنس الحزبي المقبل حتما عن نتائج عملنا الذي نسميه التغيير .ويدل بريد قراء جميع وسائل الاعلام الان على ان الشعب يبحث عن جواب عن هذه المسألة ويريد ان يلمس نتائجه بشكل واقعي.

ولا يجوز تقدير هذه النتائج بصورة مبسطة ، ومن وجهة نظر عادية فقط ، كما يقال . ولا يجوز نسيان الشيء الرئيسي لدقيقة واحدة ، الا وهو روح الانسان والعامل البشري. كما تحدث عن انعكاس التغيير في رسائل القراء حيث قال ، فالناس يدلون فيها صراحة بارائهم التي لا تطابق احيانا الاراء التي تصادف على صفحات صحفنا ومجلاتنا. وثمة استنتاجات عميقة واقتراحات هامة جدا. واكاد اقول ان في هذه الرسائل عموما كنزا للحكمة الشعبية والتجربة . وهذه الرسائل هي شوكة دوزان الروح الشعبية . ويؤسفنا جدا اننا لا نتمكن من معالجة هذه الرسائل ودراستها كاملا. فهي في الحقيقة ليست سوى استفتاء شعبي عام. ويجيب الناس بانفسهم عن الاسئلة ويكشفون النفس ، ومن الضروري الاصغاء الى هذا الصوت . وان اقسام الرسائل في الكثير من هيئات التحرير ، ويا للاسف ، قليلة القدرة على دراسة هذه الرسائل الكثيرة جدا ، ولا يوجد مثل هذه الاقسام في بعض المجلات الادبية الفنية . وليس لدينا على سبيل المثال اي انسان يعمل في قسم الرسائل . وهذا هو ملاكنا ويا للاسف.

بينما يوجد في الغرب ، كما نعرف ، معاهد لدراسة الرأي العام . لماذا لا نفكر ايها الرفاق الان ، عندما ينبغي ان نعرف بدقة فائقة رأي الشعب فيما يجري في البلاد ، بالدراسة الاعمق لرأي الشعب ، وانشاء معاهد مناسبة.

وقال رئيس تحرير مجلة "العالم الجديد" زاليغين في كلمته ان اللحظة التي نعيشها هي مرحلة هامة جدا مرحلة انعطافية . ولا يجوز القول ان كل شيء عندنا على ما يرام ، وان النجاح قد ضمن . انني اعتقد بانه لم يضمن . ويتطلب ضمانه خطوات جدية جدا . ولا داعي للاعتقاد بان من نسميهم الجماهير ، اي المثقفين والطبقة العاملة والفلاحين ، انهم كلهم يتقبلون عملية التغيير بفرح . ولا يجوز الاستخفاف بتلك الحياة الاجتماعية التي تمر بجانبنا . وتكمن القضية في اننا لسنا متمكنين جدا من الاستماع الى الرأي العام والاسترشاد به . انظروا ماذا يجرى . كم من المظاهرات تجري عندنا وكم يقدم من العرائض وكم من الشكاوي بصدد مشاريع البناء الجديدة وقطع الاشجار،انها ليست مجرد اشجار ومجرد غابات . واذا لم نطاوع الان الناس الذين يطالبون بالمحافظة على الطبيعة فاننا نقطع الصلة بهم . ولن يثقوا بنا.

ثمة صلة ملموسة تماما بين قيادة الحزب والاوساط الاجتماعية . ولكن ما ان تنضم الحلقة المتوسطة حتى يحدث انفصال ونفقد هذه الصلات .

ثم قال زاليغين وها نحن اتينا الى هنا حاملين ما يقلقنا.

اعتقد بان من الضروري تشديد دور الاوساط الاجتماعية . لنفترض ان تقريرا لوزارة ما يجري الاستماع اليه في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي او في مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي. لماذا لا يؤلف قبل ذلك مجلس اجتماعي ما من الناس القريبين الى هذا الاختصاص؟ من اجل ان يأتوا الى الجلسة ويطرحوا الاسئلة على من يستمعون اليهم .

Digitized by Birzeit University Library

ها قد انشأنا مختلف الجمعيات ، وظهرت فيها مرة اخرى اجهزة بيروقراطية ، وبدأ مثل هذا الاستنساخ بحيث نتج مجددا ليس ذلك الشيء الذي نريده.

ثم بدأ الحديث رئيس تحرير صحيفة "برافدا" افاناسيف فقال : يجري الان في اوساط الصحفيين والكتاب والعاملين في وسائل الاعلام جدال ظاهر وخفي ما هو الاهم : الانتقاد اللامحدود لما كان ولما هو موجود ام اقتراحات ما ايجابية وصياغة اشكال واساليب ووسائل لحل تلك المشاكل الملحة التي تواجهنا؟ نعتقد مع ذلك ، بالرغم من كل اهمية الانتقاد بما فيه انتقاد تاريخنا ، بان الشيء الرئيسي الان هو العمل الخلاق. واذا كنا نتطرق الى مسائل التاريخ فان علينا كما اعتقد ، ان نعتمد بالدرجة الاولى على الوقائع وليس على مختلف انواع الذكريات والاختلاقات . فاننا بذلك نشوش فقط الرأي العام ونعقد التاريخ وندخل الارتباك الى عقول شبابنا.

وتوقف الخطيب عند المسائل التي ستبحث في الكونفرس الحزبي المقبل ، واكد ان من الضروري قبل كل شيء ان يجري الحديث مرة اخرى بدقة ووضوح حول الدور القيادي للحزب. لماذا؟ لان محاولات مباشرة تبذل الان تحت راية وشعار الديمقراطية ، الجيدين جدا في بعض الاحيان ، من اجل تذويب الحزب في الشعب وفي منظمات اخرى.

وثمة مسألة هامة اخرى ، انها بنية الهيئات الحزبية.تتلقى "برافدا" الكثير من الرسائل التي تحمل اقتراحات في هذا الصدد. يقترح ، مثلا ، تصفية وابعاد اقسام الفروع والنظر في توزيع الهيئات الحزبية بذاته.

ان مسألة الرقابة ايضا معقدة جدا ، كما اعتقد، ويقترح قراؤنا وبعض العلماء بعث واعادة لجنة الرقابة المركزية في الحزب. وان المنطق بالمناسبة طريف جدا : لا يوجد عندنا حزب معارض ، لكننا نتحدث عن التعددية الاشتراكية ، وان لجنة الرقابة المركزية هي كذلك جدران الحزب،اذن ستكون عندنا تعددية اشتراكية ، ولكن ستكون هناك رقابة دقيقة وشديدة على عمل رفاقنا الحزبيين القياديين .

ان اعقد القضايا عندنا هي قضايا الاقتصاد والمنتوجات الزراعية وبضائع الاستهلاك الشعبي. لقد اعتمدنا اصلاحا اقتصاديا جذريا. ولكن لنقل صراحة ان الاصلاح لا يجري كما ينبغي . اولا ، لان جهاز الاوامر الاداري لا يزال عظيما جدا. وهو لا ينتج شيئا ما عدا الاوراق . الجميع يكتبون ويأمرون ويعطون توجيهات ، وهناك الكثير جدا من التفتيش واللجان،ويبدو ان علينا هنا ان نقدم بمزيد من الحزم على اعادة تنظيم جهازنا الاداري.

وكرس رئيس تحرير مجلة اكتوبر انانيف كلمته لقضايا دراسة تاريخ البلاد وتاريخ الثورة . وقد بين بأمثلة ملموسة ان هذه الدراسة سيئة في اغلب الاحيان وسطحية . وثمة عدد ليس بالقليل من مثل هذه الوقائع.

وقال رئيس تحرير مجلة "الراية" باكلانوف ان الفساد العظيم والتبعية العظيمة ثم اقتصاد الظل فيما بعد جعلت الناس يقلعون عن العمل. ولا يريد الكثيرون حتى الان العمل، وقد تغلغل ذلك في الوعي . ان البيروقراطي يحب النظام ، ويخلقه ، اما الحياة فليست نظاما. انها عفوية . فمن يخرق هذا النظام ؟ يخرقه المثقفون بالدرجة الاولى. لانهم يحاولون بعقولهم التوصل الى الاسباب ، ويحاولون طوال الوقت ان يدركوا : كيف يجب ان تجري الحياة وفيم تكمن سنتها الموضوعية ؟ يقال ان المثقفين عندنا تبرجزوا ولم يظهروا انفسهم في النضال من اجل العلنية والتغيير وانهم ضعيفو الارادة وبلا متن . كيف يمكن القول ان المثقفين لم يبرزوا انفسهم في النضال من اجل التغيير؟ فهل تعمل كل الصحافة في هذه الاعوام من دون مشاركة

Digitized by Birzeit University Library

المثقفين ؟ انني اعتقد بان المثقفين ابرزوا انفسهم بتفان .

ثم ادلى الخطيب بفكرة حول ضرورة ان تطرح بصرامة فائقة مسألة العدالة في كل مكان والعصمة الشخصية ويجب طرح مسألة العصمة الشخصية بالدرجةالاولى ولا ينبغي ان يكون هناك وضع يزيد فيه عدد نسخ نتاج مؤلف "قيادي" معاصر على عدد نسخ دوستويفسكي.

وقال رئيس مجلس ادارة وكالة نوفوستي للانباء فالين في كلمته : ان الكونفرنس يجري فعلا منذ امد بعيد. لقد بدأ في الحقيقة في اليوم الثاني بعد اختتام عمل المؤتمر السابع والعشرين. وهو يجري ، كما اتصور ، في اتجاهين اساسيين : صياغة المنطلق الفكري والعملي لتعميم تجربة السنوات الثلاث بعد الاجتماع الكامل للجنة المركزية في نيسان وسنتين ونصف السنة بعد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي واعداد الكونفرنس من حيث اعداد برنامج التوقعات. ما الذي ينتظرونه في الحزب من هذا الكونفرنس؟ ماذا ينتظر الناس من هذا الكونفرنس؟ وماذا ينتظر اصدقاؤنا في البلدان الاشتراكية ؟ وينتظر هذا الكونفرنس خصومنا الايديولوجيون ايضا. يعرف الجميع مبادرتنا في مجال السياسة الخارجية . لكن السياسة الخارجية ، الى حد معين بالنسبة للعالم الخارجي اليوم هي قضايانا الداخلية. ويحكمون من خلالها ومن خلال مدى الاستقرار والاستقامة اللذين يتحقق بهما البرنامج الذي استحسن حول تغييرنا الداخلي ، على مدى امكانية الثقة بنا فيما يخص شؤوننا الخارجية .

وقال رئيس اتحاد الفنانين المسرحيين لافروف: ينبغي ان نكون نزيهين دائما وفي كل شيء . هذا هو شرط دعم الشعب الكامل للعمل الخلاق الهائل لتجديد حياتنا. وتقدم باقتراح حول صياغة مباديء اساسية من شأنها ان تضمن استقرار منهج عملية التغيير. ويجب ان يتم ذلك حتما.

انها ايضا القوانين التي ذكرت . وينبغي التوصل الى ان تفعل لا بشكل نصفي بل كاملا . وتكمن في هذا ضمانة المسيرة الحقيقية الى الامام.

ثم قال الخطيب وبودي جدا ان يحضر الكونفرنس حتما اولئك الناس الذين برهنوا بحياتهم واعمالهم على الولاء لعملية التغيير وبالعكس الا يحضر هذا الكونفرنس الناس الذين يقاومونها ويعرقلون سيرها.

وتحدث رئيس لجنة الدولة للطباعة والنشر نياشيف عن دور الجماهير في عملية التغيير. واشار الى دور الكادحين المتزايد في كل مكان في البلاد وقال ان البعض لا يزال يسود عندهم رأي بان التغيير يمكن ان يتحقق على حد الزعم "من فوق" بقوى الجهاز.

بيد ان الخاصية الرئيسية لعملية التغيير تكمن في انها لا يمكن ان تتحقق من دون مشاركة الملايين ،لهذا بالذات كانت مقالة "برافدا" في الوقت المناسب جدا . لقد اثارت رد فعل كبيرا وانفجارا في الرأي العام. ان اروع شيء اليوم في الصحف هو رسائل الناس ، ومدى الصراحة فيها . انها تدل على عدم الرجعة عن عملية التغيير.

وهذا هو اهم درس سياسي ، درس ثقة الناس الهائلة على اعتاب الكونفرنس الحزبي.

انني اعتقد باننا كشفنا بشكل سيء عن جوهر عهد الركود ، وعلينا ان نكشفه . ففي هذا يكمن الجواب عن المسألة الاساسية : ليس لدى المجتمع والبلاد بديل اخر . وينبغي ان يفهم الجميع هذا.

واعتقد بان من الضروري التحدث في الكونفرنس الحزبي ، بملء الصوت عن مدى تشويه عهد الركود لنا ، سواء تشويه الجو المعنوي ام صحة الشباب الروحية . وليس من

Digitized by Birzeit University Library

السهل التلغب على ما تكون خلال عشرات السنين من السلبية الاجتماعية وانعدام المسؤولية والتعود على الاوامر من فوق فقط الذي يؤدي الى الطاعة العمياء . ولكن علينا استئصال هذه الظواهر . ويستحيل من دون ذلك السير الى الامام وتطوير المجتمع.

يخيل لي اننا الان بحاجة ماسة الى حديث اكبر عن الحزب . وان الكونفرنس حزبي، وان اعتقد ان مثل هذا الحديث الجدي الواسع لم يبدأ من حيث الاساس وهو لا يرى من خلال الصحف. ويتكون رأي بان الجهاز الحزبي صامت ، بينما يستنتج البعض انه لا يصمت صدفة ، فلا شيء لديه يقوله ، على حد الزعم او انه لا يؤيد التغييرات. ان الحديث عن الحزب وعن دوره في عملية التغيير اليوم ضروري.

وقال رئيس تحرير صحيفة "كمسمولسكايا برافدا" سيليزنوف: يتكون انطباع ان الشيوعيين واللاحزبيين والكمسموليين وربما حتى الطلائع والعاملين القدامى والشباب ،كلهم يناقشون قضية واحدة وهي : ما الذي نحمله الى الكونفرنس الحزبي التاسع عشر.

ويطرح الان لا في الاجتماعات فحسب،بل في بريد هيئات التحرير ايضا،الكثير جدا من المسائل الصغيرة والكبيرة حول كيفية تطور ديموقراطيتنا لاحقا وفي اي طريق سنمضي ، وما هي على العموم التعددية الاشتراكية؟ وانا على ثقة بان ليس من الضروري في هذا الفضول ايقاف الشباب وزجر اولئك الذين يطرحون اسئلة حادة وضارة.

اننا نقتنع من خلال الممارسة اليومية بان الشبيبةتنخرط بنشاط في عملية التغيير. وقد ظهرت عندنا في الصحيفة زاوية بعنوان "اعطونا العمل"

اجل ، ان قيمة الخطوة الملموسة والفعل تزداد ونحن العاملين في الصحف لم نتوقع ان زاوية "اختار القرية للاقامة "المكرسة لحياة القرى غير السهلة بتاتا في منطقة التربة غير السوداء في روسيا الاتحادية ستثير مثل هذه الموجة من الراغبين في السفر الى القرية واستصلاحها. وثمة اكثر من ١٠٠ الف راغب في الانتقال للاقامة في القرية. وقد انتقل ما يزيد على عشرين الف شاب.

ومع ذلك يبدأ ساكنو الريف الجديد مواجهة مختلف انواع الخلل الطفيف ، على ان الاستثمارات تعد من حيث الاساس قبل وصولهم.

ومن المهم الا يعطي الشباب المسوغات لخيبة الامل ، الامر الذي كان يحدث في السابق ، ويالاسف. ان الوجود كان دائما يحدد الوعي ، ونحن لا نسمح في عهد التغيير بان يخدع الناس الذين دعتهم البلاد الى استصلاح مناطق التربة غير السوداء عندنا في روسيا.

وتحدثت رئيسة مجلس ادارة الجمعية الموسيقية لعموم الاتحاد السوفييتي ارخيبوفا عن دور الثقافة الهام في عمليةتحويل المجتمع. وقالت ان في بلادنا الكثير من الموسيقيين الرائعين . ويلاحظ ، من الجهة الاخرى، استخفاف بالموسيقى . وهو يبدأ من سن الطفولة المبكر.

ان على نشاط الجمعية الموسيقية ان يؤثر تاثيرا ملحوظا في حياة البلاد الموسيقية .لكن وسائل الاعلام لا تنشر بعد الا القليل ويا للاسف ، عن الجمعية وقضاياها.

ان اهم مسألة هي تربية الشخصية المنسجمة ، وتبدأ هذه التربيةمنذ الطفولة .

بيد ان التربية الفنية ما قبل المدرسة عندنا؛ تجري بصورة عفوية ، ويعاني التدريس الموسيقي في المدارس العامة من وضع سيء جدا. واذا لم ترب لدى الطفل منذ الطفولة حب الموسيقى الجيدة وحب الاغنية الشعبية والوطنية مثلا فان هذه الفجوة ستملأ بسرعة بروك ما او بمجرد موسيقى رهيبة من نوع تلك التي تكاثرت الان على نطاق لا مثيل له.

Digitized by Birzeit University Library

وتوجهت الخطيبة في الختام الى ممثلي وسائل الاعلام متمنية الا ينسوا ان الفن الموسيقى هو فن هام وفن ايديولوجي ، وهو بحاجة الى عناية دائمة واهتمام مستمر من جانب المجتمع.

واكد الامين الاول لاتحاد الادباء السوفييت كاربوف في كلمته ان العلنية هي احدى الادوات العظيمة لعملية التغيير . ويعتبر الخطيب ان الالعاب في مرمى واحد ما زالت كثيرة. فتنشر الصحيفة او المجلة مقالةتتضمن انتقادا حادا لاحد ما لكنها لا تعطى الكلمة للشخص الذي وجه اليه الانتقاد. وقال الخطيب انني اعتبر هذا غير صائب . ويجب ان يقوم هذا الاعوجاج.

واعرب في هذا الصدد عن فكرة ان على المشاركين في المناقشة على صفحات الصحف ان يتمتعوا بالحق المتكافيء في الرد المدعم بالحجج.ويجبر هذا وسائل الاعلام ،حسب فكرة الخطيب ، على انتقاء الوقائع واختبارها بمزيد من الدقة.

واكد رئيس تحرير مجلة"المسرح" سالينسكي ان مجتمعنا لا تتكشف فيه حتى النهاية طاقات وقدرة شخصية الانسان ، ارادته وعمله واماله وقد خيل ان الاشتراكية يجب ان يجري فيها ما يلي: كل امكانيات الانسان ، قدرته وموهبته تتكشف باكمل شكل . ولكن لا تزال تفعل الصيغة القديمة التي عبر عنها غوركي قبل الثورة : يموت في روسيا من جراء نقص تقدير النفس اناس اكثر مما يموتون من السل الرئوي. اننا بالفعل لانفهم في اغلب الاحيان مدى الطاقات الكثيرة الكامنة في الانسان والانسان نفسه لا يفهمها. ان الواجب الاجتماعي يقتضي الكشف عن كل هذا حتى النهاية . ولكننا لا نستطيع فعل ذلك بعد ، لان مبدأ جامدا ساد عندنا خلال اعوام طويلة ، وهو يكمن في ان الجماعة محقة دائما. لا شيء من هذا القبيل ، انها ليست محقة دائما البتة.

ان الشخصية الجدية بالمناسبة والعميقة والفريدة تحدد الكثير ايضا بينما تسير الجماعة في طريق ما مطروق. ويكمن في كل عامل وعالم وفنان وملحن وكادح في الريف الكثير من الاحتياطات الرائعة التي ينبغي الكشف عنها.

اشار سالينسكي في الختام الى ان الكونفرنس الحزبي يبلغ النجاح عندما يصبح استفتاء شعبيا عاما لدعم افكار عملية التغيير وممارستها.

ثم القى ميخائيل غورباتشوف هذا الخطاب:

بودي ان اشكركم جميعا واخص بالشكر كل من عبر عن رايه هنا. لقد كان الحضور - كما لاحظت - مهتمين بالنقاش من بدايته وحتى نهايته . فمثل هذه اللقاءات على قدر كبير جدا من الاهمية بالنسبة لنا ، نحن مسؤولي اللجنة المركزية . وقد اصبحت هذه اللقاءات تقليدية ، وهذا حسن . ويمكنني ان الفت نظركم في هذا العدد الى امرين على الاقل.

اولا - ان قيادة الحزب بحاجة الى التشاور معكم فالسياسة التي لا تقوم على اساس علمي ، لا بد وان تتململ وتقع في الاخطاء . وهذا ما عرفناه بتجربتنا ،واظن ان السياسة التي لا تعتمد الاخلاق اساسا لها هي ايضا يمكن ان تلحق ضررا لا يقل شانا. ونعرف ايضا عواقب مثل هذه السياسة . ولذا ففي هذا اللقاء اهمية بالنسبة لنا.

ثانيا - امل في ان يتيح تبادل الاراء لكم ايضا انتم رؤساء المؤسسات الايديولوجية ورؤساء تحرير المجلات والصحف ، فرصة التحقق من صحة نهجكم ومواقفكم . فنحن جميعا بحاجة الى علامات مشتركة تنير طريقنا وخاصة في ميدان الايديولوجيا والوعي واظن ان الحرية ممصحوبة على الدوام بمسؤولية متعاظمة وتقع مسؤولية ضخمة على عاتق المحررين ورؤساء وسائل الاعلام في فترة الانعطاف،هذا اذ وجد المجتمع نفسه في مرحلة غاية في المسؤولية من تاريخ بلادنا،وكل محرر ، طبعا ، بحاجة الى مثل هذه اللقاءات لضبط ساعته كما يقال . ومن هنا ارحب باللقاء مرة اخرى .

واؤكد لكم اننا نتفهم تعدد الاراء في لقاءاتنا

Digitized by Birzeit University Library

هذه فهذه التعددية هي في اخر الامر قاعدة للتأمل ومنطلق للتفاهم على نحو افضل ، وكذلك لتدقيق تصوراتنا وبلورتها ثم ترجمتها الى واقع الحياة . ويلهمني ، مثلا ان حوارنا في هذه اللقاءات يزداد باطراد غنى وعمقا وهذا مفهوم لان مسيرة البيريسترويكا ارتقت هي ايضا واخذت ابعادا جديدة.

قلت في البداية اننا اردنا ان يدور الحديث في لقائنا هذا عن الكونفرنس الحزبي العام التاسع عشر المقبل. وبالفعل ينتظر حزبنا ومجتمعنا عامة الكثير عن هذا الكونفرنس . واصدقاؤنا الاجانب هم ايضا ينتظرون الكثير من هذا الكونفرنس. وخصومنا لهم ايضا مخططا وحسابا. ولعل هذا ما يجعل الكونفرنس موضع اهتمام كبير.

وتشغل بال الكثيرين اليوم مسألة من هم الذين سيتم انتخابهم مندوبين الى الكونفرنس ، ومن هم الذين سيتولون اتخاذ القرارات الخاصة بالمشاكل المصيرية لمجتمعنا والاشتراكية .

وقصارى القول فالناس يعبرون عن قلقهم على مصير البيريسترويكا. وهذا ، بحد ذاته شيء حسن.

وقد ابدت لجنة الحزب المركزية رايها حول نظام ترشيح المندوبين الى الكونفرنس. وينبغي - كما نرى - اختيار مندوبي الكونفرنس من انصار اعادة البناء المتحمسين والشيوعيين النشطاء . ولا نريد ان تكون هناك اية تعليمات وتوجيهات على غرار ما كنا نشاهده في الماضي ، بشأن تحديد نسبة العمال والفلاحين والنساء..الخ. والمبدأ السياسي الرئيسي هنا هو ان يتم انتخاب انصار البيريسترويكا النشيطين مندوبين الى هذا الكونفرنس.

ونرى ايضا وجوب الترشيح بمشاركة المنظمات الحزبية وجماعات العاملين ولجان منظمات الحزب في المناطق والمدن ، اي بمشاركة الشعب كله. وقد قررت لجان منظمات الحزب في بعض القاطعات نشر الاقتراحات المتعلقة بالترشيح للمشاركة في الكونفرنس في الصحف المحلية قبل اجراء الاجتماعات الكاملة للجان ،اي قبل الانتخاب ، كي يستطيع المواطنون الادلاء بارائهم في المرشحين . ونعتقد ان هذا الموقف صائب تماما لانه يتيح تهيئة الظروف السليمة لاختيار مندوبي الكونفرنس.

وسوف تكون مسألة اختيار المشاركين في الكونفرنس الحزبي محط اهتمام اللجنة المركزية قدما وسوف يتم انتخاب حوالي خمسة الاف مندوب ، اي نفس العدد تقريبا الذي تم انتخابه لتمثيل الحزب في مؤتمره السابع والعشرين.

ايها الرفاق: نحن على ثقة بان النهج الذي رسمه المؤتمر السابع والعشرون ، نهج صائب وقويم فالسنوات الثلاث التي مرت على الاجتماع الكامل للجنة المركزية المنعقد في نيسان ١٩٨٥ تؤكد اننا لم نخطيء الاختيار.

ما هي مهمة الكونفرنس ، في نظرنا ، وما هو هدفه؟ على الكونفرنس ان يتعرف حقيقة مجريات البيريسترويكا ويعطي دفعا جديدا قويا لمسيرتها. كما يجب ان يخلق الكونفرنس مقومات سياسية وايديولوجية وتنظيمية من شانها ان تجعل من البيريسترويكا واشاعة الديمقراطية عمليتين لا محيد عنهما ، وان تساعد بحزم على نشر هاتين العمليتين وتعميقهما.

وصلنا الى قطاع التسارع في مسار البيريسترويكا ان جاز التعبير. وكنا نتوقع ان تكون المرحلة الثانية التي قد تستغرق سنتين او ثلاث سنين ، غاية في الصعوبة . فيجري الان تحويل الخطة الاستراتيجية الى لغة سياسة واقعية ،وتجري ترجمتها الى عمليات اجتماعية واقعية تشمل كل فئات السكان . وكنا نعرف ان التوتر لا مفر منه وان دفعا جديدا سوف ينشأ حتما. ورغم ذلك لم يكن الجميع مستعدين

Digitized by Birzeit University Library

لمواجهة هذا كله كما قيل هنا وبحق. بديهي ان الاعباء التي يضطلع بها الحزب وكوادره والمجتمع كله ، هي في نمو مستمر. والدليل على ذلك توسيع رقعة العلنية والديمقراطية والتغييرات العميقة في القاعدة ذاتها ونظام الادارة وفي كافة مجالات حياة المجتمع.ويمكن القول انه انفتحت امامنا رحاب جديدة علينا ووجدنا هذه الرحاب شاسعة مترامية الاطراف فيها مجاهل كثيرة. اننا نسلك طريق الرواد ونمضي بالتالي الى امام. ومن هنا التفاوت في ردود فعل المواطنين على العمليات الجارية.

كنا نعرف انه يجب ان نكون مستعدين لمواجهة هذا الموقف ، مستعدين للتفكير والعمل والعيش باسلوب جديد.

تبادلنا الاراء في جلسة المكتب السياسي فخلصنا الى استنتاج ان حداثة المشاكل وسعة الظواهر والعمليات الجديدة التي تشهدها البيريسترويكا في مرحلتها الثانية جعلت الحزب كله وكوادره في وضع جديد. ورأينا ان هناك كثيرا ممن ليسوا على استعداد لتقدير الوضع الراهن تقديرا صائبا. واكتشفنا حيرة في عقول الكثيرين،في عقول العمال والمثقفين والكوادر القيادية واقول صراحة ان هذه الحيرة لم تصب من هم في حلقات القاعدة فحسب بل ومن هم في الحلقات العليا ايضا. وعندئذ وجد المكتب السياسي ضروريا ان يلقى الامين العام كلمة حول وسائل الدعم الايديولوجي للمرحلة الثانية من البيريسترويكا. واريد ان اؤكد ان كل ما قيل هنا نيابة عن المكتب السياسي وحظي بتأييد الاجتماع الكامل في شباط يحتفظ اليوم باهميته كعلامة وضاءة تسدد خطانا.

واقول هذا لان بعضهم بدأ يتيه وسط العمليات الجارية بينما وقف بعضهم الاخر في حيرة وحتى اسيب بالذعر. مع العلم ان هذا الذعر قد تترتب عليه عواقب خطيرة ، اذ بدا الناس يتساءلون :الن تنقلب البيريسترويكا الى هدم وانكار لقيم الاشتراكية ، الن تجلب ظواهر غريبة دخيلة عليها ، الن تؤدي الى زعزعة اسس المجتمع؟ اقول لكم ان هذه التساؤلات خطيرة جدا. واظن انه لا يمكن لوم هؤلاء المذعورين فورا على انهم لا يحسون بالمسؤولية او انهم يعارضون البيريسترويكا.

ايها الرفاق: علينا ان ننظر الى كل هذا بجدية والا نقف موقفا متطرفا ازاء هؤلاء الناس والا ننسب كل من يعبر عن شكوكه الى اعداء البيريسترويكا. ولا اتفق ابدا مع من بدا يستعمل في الصحافة عبارة "خصوم البيريسترويكا". هذه العبارة فيها شيء من التشاؤم.والحديث عن "خصوم البيريسترويكا" لا يقل سخافة عن المزاعم التي نشرتها جريدة "سوفيتسكايا روسيا" والتي تقول ان اخلاف اثرياء المدينة والريف في العشرينات وغيرهم من العناصر الغريبة علينا يهددوننا. هل من المعقول ان يخوفنا احد الان بعد مرور سبعين سنة ببعبع خلفهم او باخلاف تروتسكي ودان؟ دعونا نكون على مستوى يليق بنا.

نريد من خلال البيريسترويكا ان نستعيد وجه الاشتراكية اللينيني ، وان ننتقل بالمجتمع السوفييتي الى تخوم جديدة نوعيا. فواجب علينا ان نكشف بحق عن القدرات الانسانية الكامنة في الاشتراكية : هذه هي مهمة البيريسترويكا. الا ان هذا يعني ان علينا في مرحلتها الثانية ان نرى الهدف الرئيسي في صورة مجتمع مجدد وعلاقات انسانية مجددة بروح الافكار اللينينية،

هذا العمل يجب ان نقوم به مستخدمين اساليب لحمتها وسداها النزعة الانسانية والثقة والاحترام ولا يعني هذا اللامبدئية والانتقائية والموالفة بين الشتات . لا ، فقد ان لنا ان نحيي المغزى الاصيل الرائع لكلمة "رفيق" العظيمة ، ان نحيي روح الرفاقية في الحزب ، في المجتمع.

Digitized by Birzeit University Library

لا يسعنا أن نقوم باعادة البناء التي تستهدف الانتقال بالاشتراكية الى القيم الفكرية اللينينية في مصلحة الشعب ، ونحن نستخدم اسلوب المصادمات فنحن لا نهدم نظاما ، نحن لا نغير اشكال الملكية فالسوفيتات عندنا باقية . اصغوا لما يقوله لينين : يجب بناء الاشتراكية بالمادة البشرية التي ورثناها عن الرأسمالية . اما نحن فنعيد بناء مجتمعنا بالناس الذين نشأوا وترعرعوا في ظل الاشتراكية . فهل علينا اذن ان نتخلى عن جزء منهم ، يا ترى ؟

لا ، لا يسعنا ان نطرح المسألة هكذا . شعارنا الذي نرفعه هو : رص الصفوف ، فولذة وحدة المجتمع ، واعادة البناء هي هدفنا .هذا هو الاهم ، ايها الرفاق . فحين يضطرنا الامر علينا ان نستوضح جذور هذه او تلك من الظواهر السلبية . ومثل هذا الموقف دليل على ثقتنا بالطريق الذي اخترناه ، وبالاهداف التي اخترناها وبالاساليب التي وقع اختيارنا عليها . لقد عثرنا عليها الان . وبرأيي ان في هذا بالذات ميزة البيريسترويكا وفيه قوتها. ويجب علينا جميعا ان نمعن التفكير في هذا . فهذا سيكون مفيدا ، والاهم من ذلك - ضروريا وكفى ، ضروريا لنا كضرورة الحياة نفسها . لقد سبق لي ان قلت ردا على احد المتكلمين واريد ان اؤكد مرة اخرى ما سبق وقلته : الحزب هو في خدمة الشعب وكل وسائل الاعلام هي ايضا في خدمة الشعب .

لا يجوز التحدث عن شؤون الشعب وشجونه بكتابات شكلية بيرقراطية لا روح فيها ولا حياة .فالصورة تعطى احيانا صحيحة ، ولكن طريقة الكتابة تظهر كاتبها وكأنه لا يتحسس الام الشعب . فان لم يكن يتالم مع الشعب نجده يبدأ التلاعب بالالفاظ نعوتا واستعارات واوصافا تلمق بهذا وذاك ، كلاما يرمى على عواهنه . هذا ، اعود فاكرر ، يحدث حين لا يتحسس الكاتب الام الشعب . اما اذا تحسستم هذه الالام ، اذا تذكرتم دوما شعبكم ، اذا كتبتم بالم وحرقة حتى عن اصعب الاشياء ، عندها سيظهر لديكم ولا شك ما سوف يحتوي في خاتمة المطاف على العبرة والتفاؤل . ففي ذاك سيكون تعاطفكم مع الشعب مشاركتكم اياه قدره ومصيره ، حرصكم على ان يعيش شعبكم افضل ، وعلى ان يهنأ شعبكم . لا اقصد هنا تلقينكم الدروس ، وانما اتوجه الى فكركم وعاطفتكم .

عموما ، عليكم انتم ايضا ان تغيروا ما فيكم فوسائل الاعلام هي اداة البيريسترويكا . ولتكون هذه الاداة فعالة ، يجب ان تغير ما في ذاتها وتعيد بناءها مثلها مثل المجتمع . نحن نقول : لا احد يحتكر النقد وما من قطاعات محظور نقدها . اذن ، لا يمكن للصحافة نفسها ان تبقى بحمى من الانتقاد . فعليكم ان تطرحوا القضايا بجدية وصوابية في مصلحة الشعب ، في مصلحة الاشتراكية ، في مصلحة البيريسترويكا . وهنا يحق للصحافة ان تحظى بمساندة الحزب .

موضوع اخر اريد ان اخوض فيه واياكم هو النزعة المحافظة . لماذا هذه النزعة حية لا تموت بسهولة ؟ ما الذي يغذيها ؟

اعتقد ان النزعة المحافظة هي اهم كوابح البيريسترويكا . ولا داعي للعزوف عن استيضاح ما الذي يغذيها، لان الرد على هذا السؤال سيساعد وسائل الاعلام على تحديد اساليب التغلب على هذه الظاهرة تحديدا صحيحا .

يجب علينا ان نلحق الهزيمة بالنزعة المحافظة ونحن نغذ السير على دروب البيريسترويكا . فهذه النزعة لا يغذيها فقط جمود التفكير واعتياد القوالب البالية والخشية من الجديد عند بعض المجتمع ، بل تغذيها المصالح الانانية ايضا . اما هذه الاخيرة فالصحافة تتناولها بين مواضيعها . فتوضح ان البيريسترويكا قد دفعت الاصبع ، كما يقال ، على جرح بعضهم ، فراحوا يقاومون مسيرة تجديد المجتمع ويعرقلونها . الا ان هذا فقط هو

Digitized by Birzeit University Library

بعض المشكلة . فالاهم بالنسبة الى المجتمع كله يبقى مع ذلك التغلب على جمود التفكير لان هذا الجمود موجود عند السياسي وعند الاديب وعند العالم انه عند كل ذي صلة بالنشاط الذهني وهذا يقرر الى حد بعيد التحليل النظري ورسم السياسة الخ .

ثمة قوالب تفكير وعمل جامدة ، وهي تستأثر بالعامل المثقف والسياسي . وهذه ظاهرة خطيرة عميقة الجذور فكلنا نحن ابناء زمننا . البيريسترويكا ولدت فينا ولكن فينا ايضا الكثير مما يكبح تقدمها . واظهار هذا الامر ، ايها الرفاق ، مهمة كبيرة جدا تقع على عاتق وسائل الاعلام ، وبالطبع ، على عاتق العاملين في الميدانين الحزبي والايديولوجي .صياغة الموضوع بهذا الشكل وطرحه في هذا الاطار يساعدان المرء على احداث ثورة في فكره هو بالذات ، على ان يقرر موقعه .

اجل ، ما اكثرما تغذى المصالح الانانية نزعة المحافظة . لكن من ذا الذي سيعتلي المنبر ، او سيكتب مقالة في جريدة يطرح فيها هذه القضية او تلك ويقول انه يفعل هذا حفاظا على مواقعه الحالية ، حفاظا على ما يلائمه ويروقه كثيرا ؟ ! انه لن يفعل هذا . وسيطرح موقفه هذا زاعما انه يعمل لخير الشعب ، لخير الاشتراكية ! وهذا شيء يجب رؤيته وادراكه .

وثمة ايضا ، ايها الرفاق ، امر هام جدا . فغالبا ما ننعت شخصا له موقفه الخاص من امر ما ، بانه محافظ ولكن ما ان تبدأوا بالتعمق في المسالة حتى تروا انه غالبا ما يجد نفسه في وضع كهذا لكونه لا يعرف بعد كيف يعمل في ظل الظروف الجديدة . لا يعرف ، ايها الرفاق ! وهذا الامر واسع الانتشار الان ! ونحن نرى مدى صعوبة تعلم العلم باسلوب جديد . هذا صعب جدا خاصة واننا كنا نعمل مدى عشرات السنين باساليب الامر والنهي . افيعقل والحال هذه ان نضع هؤلاء الناس ، الذين لم يتعلموا بعد كيف يشتغلون بالاسلوب الجديد ، في خانة خصوم البيريسترويكا ، في خانة المحافظين الذين تأصلت هذه النزعة فيهم ؟

عملية اعادة بناء المجتمع تتم فعلا من خلال التجربة الملموسة، من خلال النقاشات ، وعبر ادراك هذه العملية وفهمها ، من خلال تغير المواقع بالتلازم مع تجدد مجتمعنا . وهذه اشياء جدية ، فنحن نعطي كل امرىء فرصة تغيير ما في ذاته ،اعادة بناء ذاته . ونتكلم عن هذا في احاديثنا ، وعبر الصحافة . غير ان البعض يطرح المسألة على النحو التالي : اعطي الجميع ثلاث سنوات للتغيير واعادة البناء وكفى . فان لم تتغير وتعد بناء نفسك فاغرب عنا . اقول اننا جميعا واياكم لم نغير ما فينا، نحن فقط نخوض التجدد والتجديد .

ماذا علينا ان نفعل الان ؟ علام نشدد في عملنا الحزبي ، وفي عمل وسائل الاعلام ؟ لقد وردت هنا فكرة صحيحة هي اننا نفعل الكثير في مختلف الاتجاهات ونحن نخوض عملية اعادة البناء ، الا انه لا ينبغي ان يسهو عن بالنا الامر الاهم ، الا وهو معيشة الشعب ورفاهيته ، مزاجه ، احاسيسه ، ايها الرفاق . موضع اعتنائنا ليس فقط رفاهية الشعب المادية، وليس فقط الوسط الاجتماعي ، بل واحساس الانسان بانه انسان له كرامته .

سيكون علينا ان نتغلب في كل مرافق العيش ، بما فيها المجال الروحي ، على الامر الاهم الا وهو التغرب الموجود ، وللاسف ، في ظل الاشتراكية حين تشوهها التحريفات الاستبدادية البيروقراطية، والتغلب على التغرب والبيروقراطية والشكلية ممكن فقط عن طريق اشاعة الديمقراطية والعلنية ، وعن طريق تطهير مجتمعنا خلقيا . واننا لنستشعر في عملنا هذا الدعم النشيط يبديه شعبنا كله بطاقاته المتنامية سياسيا وذهنيا وثقافيا .

اننا نستشعر هنا ايضا دعم مثقفينا . وهذا

Digitized by Birzeit University Library

الدعم يتنامى . فكيف لنا ان نخوض معركة البيريسترويكا بدون المثقفين ؟ ففي كل ما امكننا فعله ثمة مساهمة نشيطة لا يقدمها عمالنا وفلاحونا فقط ، بل ومثقفونا ايضا.

لزام علينا في الحزب وفي المجتمع ان نوجد ، بكل ما اوتينا ، الجو الضامن لعقد الكونفرنس الحزبي العام بنجاح . وليس الفضل لاحدنا في ان يرفع عقيرته ويصيح قبل غيره معلنا هذه الواقعة او هذا الحدث يجب على وسائل الاعلام ان تطرح القضايا الملحة لقد صار لنا الان تاريخنا ، تاريخ البيريسترويكا الصعب والمعقد ،وكشفه واجب علينا . فعندما نعود الى الماضي ، فاننا عائدون اليه طبعا لنفهم افضل ماذا يلزمنا اليوم لئلا تتكرر اخطاء الماضي .

وعلينا ان نفعل هذا دون اثارة ضجيج لا لزوم له . اريد ان اضع المسألة في هذا الاطار : الخبر المثير الطيب هو بالنسبة لنا ذاك الذي ينتظره الشعب والذي يخشاه اخصامنا . انه نجاح البيريسترويكا نجاحنا في معركة التجديد واعادة البناء .

هناك مسألة في غاية الاهمية هي مسألة مواصلة تطوير النقد ، وتوسيع العلنية . فاحيانا يسألوننا : ما هي حدود النقد والعلنية ؟ هذه المسألة محلولة عندنا في اطار تعددية الاراء الاشتراكية . نحن مع التطوير الواسع للنقد والعلنية على ان يكونا في مصلحة المجتمع والاشتراكية ، في مصلحة الشعب . ونحن ملزمون اذ نحارب النزعة المحافظة بدأب واصرار ، واذ نجتث كل ما يعرقل البيريسترويكا ، ليس اقله بان ندافع بصلابة عن كل ما يخدم اعادة البناء ، البلد ، الشعب ، وان ندعو اليه باعلى صوتنا ونذود عنه .

ولترسيخ البيريسترويكا تلزمنا مواقف جديدة واساليب جديدة ، واكتشافات جديدة . لنتذكر كلمات لينين : لا تحاولوا ان تعالجوا القضايا الجديدة باساليب قديمة، فلن تفلحوا في شيء من ذلك . اذن يلزمنا ان نبحث عن اساليب جديدة . وهذا ما نفعله في كافة الميادين : في الميدان الاقتصادي وفي الميدان الروحي وميدان العلوم والتعليم . وعلى وسائل الاعلام ان تساعد الشعب على استيعاب الاشكال الجديدة والاساليب الجديدة ، والمواقف الجديدة .

في الاجتماع الكامل للجنة المركزية في شباط طرحنا مهمة التعمق في الفهم اللينيني للمجتمع الاشتراكي . وذلك لتطبيقه تطبيقا خلاقا في الظروف التاريخية الملموسة حاليا . واؤكد على كلمة "خلاقا" وصحيح ما قيل هنا لدى التطرق لسياسة "النيب" (السياسة الاقتصادية الجديدة في عهد لينين - المترجم) من انه لا يمكننا ان ننسخ ونكرر مواقف الزمن الماضي بحذافيرها . لا ،ايها الرفاق ، علينا ان ندرس الفكر اللينيني ونبحث فيه . فهو دائما يزود بالكثير المعلم والملقن .

خذوا مثلا كيف تصرف لينين حين اقترح سياسة "النيب" . ففي ذلك الوضع ، والبلد في حالة خراب ودمار ، كان الفكر اللينيني الحازم ، والسياسة الحازمة ، في توجههما الى الواقع الملموس يتغذيان من الواقع الملموس . ولذلك لم يفهم هذه السياسة الجميع ، حتى رفاق لينين الاقربون لم يفهموها في الحال . فراحوا يتهمون لينين بالتراجعية واعتبروا انه يدفع بالبلد الى حافة الهلاك . كل هذا نعرفه . اذن اقول لكم : يجب ان نعتمد الفكر اللينيني ، لا ان ننسخ القرارات الملموسة لتلك الحقبة . فقد تكون لنا هنا مواقف جديدة ، مواقف غير معهودة . وهذا امر بديهي . اما نحن فكثيرا ما نصرخ حين يبرز موقف غير مالوف : "النجدة" ، ان الاشتراكية تهلك ، والملكية الخاصة تفرخ من جديد !" .

ولذلك اعود فاكرر : يجب علينا ان ندرك الفهم اللينيني للمجتمع الاشتراكي ، ان ندركه لنطبقه تطبيقا مبدعا مراعين الظروف الحاضرة

Digitized by Birzeit University Library

، لا ان نعود القهقري الى الماضي . فهذا الاخير هو اسوأ اشكال التلمودية والدوغماتية والجمود العقائدي .

علينا ، ايها الرفاق ، ان نتخلص نهائيا من تصور الاشتراكية وكأنها مجتمع يسوى فيه الناس تسوية فتنتقي شخصية الفرد ، مجتمع الحد الادنى : حد ادنى من الخيرات المادية يمتلكها المرء ، حد ادنى من العدالة حد ادنى من الديمقراطية .

ويحق لنا هنا طرح المسألة كالتالي - وهو طرح واقعي وجدي : القدرة الاقتصادية والذهنية والثقافية المتراكمة اليوم بعد سبعين سنة من تاريخنا ، تتطلب منا تحقيق نموذج عصري للمجتمع ، يؤمن لكافة اعضائه مستوى معيشة حضاريا ، وامكانات شتى لتلبية الحاجيات الروحية والثقافية ، حرية في التعبير عن الرأي وفي التقرير والاختيار . الا ان هذا كله يجب تحقيقه في اطار خيارنا الاشتراكي العام، في اطار ديمقراطيتنا الاشتراكية وخلقنا الاشتراكي . وهذا المجتمع سوف يكون حتما اكثر تراكبا وعقدا ، على بقائه اشتراكيا لا يتراجع قيد انمله عن مبادىء العادلة الاجتماعية والرفاقية الاممية .

لماذا تراني اتحدث عن هذا ؟ افليس كل المجتمع عندنا يؤمن بالاشتراكية ويدافع عنها ؟ القضية هي ان امامنا الان مهمة تجديد الاشتراكية . وعلينا جميعا ايها الرفاق ، ان نستوضح لانفسنا ما هي الاشتراكية بالذات، فيم كنهها ، وبأية اساليب وطرائق يمكن ويجب ان نبنيها، ونجددها ، ونحسنها . هذا ما يحسن بنا ان نمعن التفكير فيه ونعمل جيدا لاجله . ينبغي لنا ان نتقدم من تصورنا التقليدي المعهود للاشتراكية الى مستوى متطلبات العصر ، ان نجعل تصورنا هذا في مستوى حاضرنا ومستقبلنا علما علما واقتصادا وتقنية وقصارى القول ، علينا ان نعيد الى الاشتراكية طابعها الثوري وافقها التاريخي . ولعله لزام علينا ان نفرد معايير الاشتراكية الحقة في نظامنا الاشتراكي ، لان اية حركة تبدأ واي جديد يظهر ، يبرز معه هذا السؤال : الى اين نحن سائرون ، او لسنا نحيد عن درب الاشتراكية ؟

يجب ان نحدد هذه المعايير : ما هو الاشتراكي الحق وما هو الغريب على فكرة الاشتراكية ذاتها ؟ يجب تحرير الاشتراكية وتخليصها مما علق بها من ادران الاشتراكية الكاذبة المحرفة المشوهة في فترة عبادة الفرد وسيطرة نظام الامر والنهي وفترة الركود ، ليعود اليها مغزاها اللينيني الاصيل . ودور وسائل الاعلام في هذا لا يقدر بثمن . فنحن بحاجة الى هذا ، وبدونه لا نستطيع ان نعقد الكونفرنس . ولا نستطيع ان نعقده بدون الفهم الدقيق للمجتمع الذي نصبو اليه ، وبدون ان نترسمه ونتصوره . وعلينا طبعا ان نقوم بهذا العمل شاعرين بعظم مسؤوليتنا عنه . واعود لاقول مرة اخرى : كل الاجابات عما طرحته البيريسترويكا من اهداف علينا ان نبحث عنها في اطار الخيار الاشتراكي وحسب .

فالاشتراكية بالمفهوم اللينيني تتيح فرصة ضمان تعددية الاراء والمصالح والمتطلبات وضمان تحقيق هذه المصالح والمتطلبات .

نحن نقبل على الكونفرنس ومعنى ذلك انه علينا ان نجري المساءلات ونجمل النتائج . وان الكلام في الكونفرنس يجب ان يتركز بقدر اكبر على تاريخ البيريسترويكا ذاتها، وان ننقل مركز الثقل نحو اجمال النتائج . علما ان علينا ان نقوم بذلك من منظار النقد الذاتي : ما تسنى انجازه واين تكمن نقاط ضعفنا فعندها سنتمكن بشكل افضل من تجديد الافاق ايضا ومن الضروري هنا ان يتحلى الكونفرنس بقدر اكبر من الروح العلمية .

وحان الوقت الان لنطرح بقوة اكبر مسألة تطابق القول والفعل ، ومسألة القرارات المتخذه ومجرى تطبيقها فنحن اتخذنا قرارات كبرى من شأنها ان تضمن تبدلات جادة في السياسة البنيوية باتجاه الصناعات الخفيفة والغذائية

Digitized by Birzeit University Library

والمجال الاجتماعي . وكل ذلك يجب ان يسفر عن تحسن ظروف معيشة السوفييتيين . وان تحقيق القرارات في مسائل التقدم العلمي - التقني ، وفي مجال بناء المكائن والهندسة الاليكترونية يجب ان يضمن تعجيل حركتنا وبلوغ مؤشرات جديدة في انتاجية العمل ونوعية المنتجات .

والان ، حول حقيقة امورنا في يومنا الراهن . فقد ازداد الناتج القومي الاجمالي في عام ١٩٨٧ بمقدار ٣،٣٪ . وبلغ نمو حجم الانتاج الصناعي ٣،٨٪ . وكانت متوسط النمو السنوي خلال ٣ سنوات - ١٩٨٥ - ١٩٨٧ كالاتي : ٣،٣٪ على صعيد الدخل القومي . ٣،٩٪ على صعيد الناتج القومي الاجمالي . ٤،٢٪ على صعيد الانتاج الصناعي و ٤،٧٪ على صعيد انتاج سلع الاستهلاك العام . وازداد الانتاج الزراعي بمعدل سنوي بمقداره ٣،٥٪ والمساكن بمقدار ٣،٦٪ .

وقد دفعنا الامور الى امام في مجال انتاج السلع وارتسمت معالم التحسن في المجال الصحي والتعليم العام .

ودبت الحركة في قوى المجتمع البناءة . والنزعات التي تنشأ ايجابية . وهذا هو بالضبط ما يغير الحياة ويجب ان يغير اذا ما نمينا هذه الاتجاهات بحق .

ولنأخذ هنا على سبيل المثال ، نمو انتاجية العمل فنحن حصلنا في الاعوام ١٩٨١ - ١٩٨٤ على ٨٦٪ من الدخل القومي على حساب ذلك و ٩٦٪ في الاعوام ١٩٨٥ - ١٩٨٧ . علما بان كل الزيادة في عام ١٩٨٧ تحققت على حساب نمو انتاجية العمل . وفي الربع الاول من العام الحالي ازدادت انتاجية العمل في الصناعة بمقدار ٥،٤٪ ، بما في ذلك، بمقدار ٦،٦٪ في المؤسسات الانتاجية التي تعمل في ظروف الحساب الاقتصادي المستقل التام والتمويل الذاتي . وفي البناء بمقدار ٨،٩٪ . و ٩،٨٪ لدى اولئك الذين يعملون في ظروف الحساب الاقتصادي المستقل . وهذه تطورات جادة ايها الرفاق واذا ما حافظنا على هذه النزعات فسوف يتغير الكثير على ما اعتقد . نحو الاحسن .

اليكم الحقيقة التالية . ان نسبة تجديد الانتاج في بناء المكائن بلغ في عام ٨٥ ، ٣٪ ، اما في عام ٨٧ فقد وصل الى ٩،١٪ . وهذه زيادة بمقدار ٣ اضعاف . ونحن نطرح مهمة تحقيق ١٣٪ . ويزداد الالتزام بالتعهدات . فالحساب الاقتصادي المستقل يبدو مغعوله هنا ايضا. والجوانب الايجابية تشق طريقها هنا عبر الصعاب الطبيعية الناجمة من الانتقال الى الحساب الاقتصادي المستقل والمعايير الاقتصادية الجديدة وعمل لجنة الاستلام الحكومية والكثير غيرها ، الامر الذي يجدد بشكل جذري مجالنا الانتاجي .

والان ، بصدد نوعية غذائنا . ما الذي يعوزنا ؟ بالدرجة الاولى اللحوم والخضار والفواكه . ووضع المواد الغذائية يثير قلقنا . كبير قلقنا . يجب البحث عن تدابير احسم من اجل التحرك نحو تسوية المشكلة بوتائر اسرع . ويجب ان نملأ المتاجر والمطاعم والاسواق والتجارة التعاونية بالمواد الغذائية .

والان حول السكن . خلال ٣ سنوات حسنت ١٠ ملايين اسرة ظروفها السكنية . وهذا نمو كبير فبناء المساكن لم ينم عندنا طوال عدة خطط خمسية .

وحول حجم التجارة . فقد ازدادت بمقدار ١٣٪ وهذا حدث في الوقت الذي تقلصت فيه مبيعات المشروبات الروحية خلال ٣ سنوات باكثر من مرتين .

ان النمو موجود ، وهو جلي ، ولكن يحس ايضا ببعض النقص . معنى ذلك، ايها الرفاق ، ان علينا ان نتمتع من كل شيء بقدر اكبر . كل شيء بما في ذلك الخدمات ايضا . فحجمها غير كاف . وامام التعاونيات تنفتح هنا امكانات هائلة .

ان تعداد سكان البلاد يزداد سنويا بمقدار

Digitized by Birzeit University Library

٢,٥ مليون نسمة . وهذه الدينامية هي التي يجب ان تحدد وتاثر نمو وحجم المواد الغذائية والسلع .

ان الاقتصاد يمر الان في مرحلة معقدة . بل معقدة للغاية فنحن نطبق الاصلاحات ، ونشدد من متطلبات لجان الاستلام الحكومية ، ونستوعب الحساب الاقتصادي المستقل . نصف البلاد تعمل في ظروف الحساب الاقتصادي المستقل ونصفها الاخر في ظروف مغايرة . فهذه حالة غير مألوفة ! ونحن نقوم الان باعداد قرار حول طلبيات الدولة ، يجب ان يعمل على تصحيح الانحرافات التي وقعت .

ذلكم هو واقع البيريسترويكا ، ايها الرفاق . وبودي ان أسألكم التحلي بقدر اكبر من الاهلية في تغطية وقائع عمليات البيريسترويكا مهما كانت المجالات التي تمسها . فهنا نحن بحاجة الى التعمق والمسؤولية والتروي . وفي سياق انتقاد النزعة المحافظة والنواقص يجب علينا ان نؤيد بانشط ما يمكن ، كل ما هو تقدمي .

عموما ، ايها الرفاق ، علينا ان نطرح كل هذه المسائل من مواقف مبدئية سواء في فترة الاعداد او في الكونفرنس نفسه .

ونحن لدينا ما نقوله في الكونفرنس ، سواء حيث كانت النتائج او الافاق .

وعلينا ان نأتي الى الكونفرنس باقتراحات كبيرة تمس النظام السياسي لمجتمعنا . فهو الاخر بحاجة الى تغيير اساسي .

وعلينا ان نتمثل دور الحزب باعتباره الطليعة السياسية في المرحلة الراهنة . فنحن لا نتخلى عن المفهوم اللينيني للحزب باعتباره الطليعة السياسية للمجتمع . ونرى ان دور الحزب في مرحلة البيريسترويكا سوف يزداد في تطوير المجتمع الاشتراكي وتحقيق التحولات العميقة . وهذا يطالبه برسم سياسة معللة علميا وعلى اساس التقديرات والتنبؤات الصائبة . ويطالبه بالنهوض بعمل ايديولوجي وتنظيمي كبير .

وهذه مهمة لا يتمكن منها الا الحزب الذي يلم بطرق التحليل الماركسي العلمي . ولهذا فنحن لا نرفض التشكيك بدور الحزب القيادي والملهم فحسب ، بل ونرى ان علينا ان نتمثله بعمق اكبر . وهذا الدور يجب ان يكون مغايرا بالتأكيد ، اي يجب ان يكون اكبر وعلى ذلك الصعيد بالضبط الذي اتكلم عنه - على صعيد ممارسة وظائف الطليعة السياسية .

وتمثل بهذا الصدد ، مسألة توزيع الوظائف بين الحزب والسوفيتات واجهزة الادارة الاقتصادية . ذلك ان تداخل الوظائف ادى الى ان الحزب اخذ على عاتقه في نهاية الامر الكثير من الامور الاقتصادية وبات يبت في المسائل الملموسة وصولا الى المسائل اليومية الجارية .

وبالتالي فقد اصاب الضعف وظائف الطليعة السياسية وقد ادى ذلك من جهة اخرى ، الى انخفاض مسؤولية السوفيتات واجهزة الادارة الاقتصادية على حد سواء .

وعلينا ان نعيد ايضا تمثل بنية الجهاز الحزبي فكل ذلك سيكشف عن الامكانات الهائلة التي تكمن في حزبنا . ولو قمنا في وقت واحد مع ذلك ، بكل ما هو ضروري من اجل بعث النشاط في كل شيوعي ومن اجل ان تعمل بهمة اكبر كل منظمة قاعدية وجميع كوادرنا فان الامور سوف تسير على ما يرام انذاك . ونحن نفكر بطرح جملة اقتراحات بهذا الشأن في الكونفرنس .

وبالنظر لاعادة تمثل وظائف الحزب كطليعة سياسية يجب علينا بالطبع ، ايها الرفاق ، ان نتمثل من منطلق جديد دور السوفيتات . اذ يجب علينا رفع دورها وتشديد اهمية عمل دورات السوفيتات واللجان والنواب كما ان عمل مجلس السوفييت الاعلى بحاجة هو الاخر الى تغيير . وكل ذلك يجب ان يكون موضوع تفكير جاد .

وعلينا ان نتحول الى انشاء جهاز الادارة

Digitized by Birzeit University Library

الديمقراطية والسارية باستمرار التي تنطوي على كل ما يضمن تكريس مسيرة البيريسترويكا ومشاركة الشعب فيها بنشاط ، والتي من شأنها ان ترشح انشط الاشخاص الى المناصب الرائدة . وتحس بالامزجة وتدخل التعديلات اللازمة على العمل . فاذا لم نفعل ذلك، ايها الرفاق ، فان الاصلاحات الاقتصادية سوف تحتنق وكذلك العمليات الاخرى .

واذا ما نظرنا بعمق ، فسوف نرى بان مفتاح كل شيء يتمثل في اشاعة الديمقراطية ، واشراك الشعب في جميع الشؤون . ولهذا فالانسان هو هدف البيريسترويكا ، واستنفار القدرة البشرية هو وسيلة البيريسترويكا ، واس. وعبر ذلك ، وعبر المجال الروحي وتقوية روحية الشعب بالطبع ، سوف نعمل على دفع البيريسترويكا الى امام .

وعلينا ان ننتهي من اقامة الدولة القانونية الاشتراكية . ولهذا فسوف يتعين علينا القيام باصلاحات قضائية - قانونية وهذا يجب ان يصاغ ايضا كمهمة في الكونغرس .

انه انعطاف كبير جدا ، ايها الرفاق . فنحن نرسي الان المنطلقات التي سيرتكز عليها مجتمعنا عشرات السنين اللاحقة . وهذا ما يحدد مدى مسؤوليتنا الراهنة ولهذا فعندما يريدون ان يتهمونا بالتردد ان يحاسبونا على ذلك ، نحن نرد عليهم : كلا ثم كلا . ان افدح الاخطاء هي الاخطاء السياسية . وان اكبر النتائج تأتي عن القرارات السياسية . المدروسة دراسة جيدة وعموما ، ايها الرفاق ، نحن نريد ان يتخذ الكونغرس الوطني التاسع عشر قرارات مسؤولة من شأنها ان تعطى البيريسترويكا زخما جديدا وتفتح امام مجتمعنا بشكل اوسع امكانية السير في طريق اشاعة الديمقراطية ، والاشتراكية .

- مختصر عن "انباء موسكو" -

Digitized by Birzeit University Library

اتفاق سلام اسرائيل - فلسطين

في مؤتمر صحفي كبير حضره ممثلو الصحافة المحلية والاجنبية ، وقع المبدعون الاسرائيليون والفلسطينيون اعضاء "لجنة الكتاب والفنانين والاكاديميين الاسرائيليين والفلسطينيين ضد الاحتلال ومن اجل السلام وحرية التعبير" على "اتفاق سلام اسرائيل - فلسطين" الذي تمت صياغته بعد اجتماعات عقدتها اللجنة في تل ابيب و القدس واقرت بنود الاتفاقية التي تحظى بتأييد اكثر من ١٥٠ كاتبا وفنانا اسرائيليا وفلسطينيا

افتتح المؤتمر الصحفي الكاتب يورام كنيوك ، مؤكدا ان هذا الاتفاق الذي يوقع عليه كتاب وفنانون من ابناء الشعبين يثبت ان بالامكان تحقيق السلام العادل اذا انتهج القادة السياسيون طريق الحوار. واكد ايضا ان التوقيع على هذا الاتفاق هو خطوة رمزية تعبر عن رغبة ابناء الشعبين في تحقيق السلام.

ثم تحدث الكاتب اميل حبيبي ، معربا عن اهمية هذه المبادرة التي تثبت دور الكتاب والفنانين التقدميين في استباق الاحداث المصيرية التي تتطور في هذه المرحلة باتجاه يبعث على التفاؤل والامل في تحقيق سلام شامل وعادل في المنطقة . ووصف المبادرة بانها تاريخية اذا ما تواصل جمع التواقيع عليها ليكون لها تأثيرها الصحيح في الرأي العام ، فان ما وقع عليه الكتاب والفنانون الفلسطينيون والاسرائيليون هو الاتفاق الذي يضمن وضع حد لسفك الدماء في المنطقة ويلبي رغبات الشعبين في العيش بسلام وحرية.

وقال الشاعر نتان زاخ ، ان الكتاب الاسرائيليين قلقون جدا من تدهور سياسة الحكومة الاسرائيلية وممارساتها في المناطق المحتلة ، والرأي العام العالمي يدينها بشدة والذين يوقعون على الاتفاق ويؤيدون صيغة السلام المقترحة هم امل كل محبي السلام هنا وفي العالم . وقرأ رسالة الكتاب الفلسطينيين المعتقلين في "انصار ٣" التي ارسلت عبر جريدة "الاتحاد" وفيها يناشدون زملاءهم الاسرائيليين بالعمل من اجل رفع اصواتهم احتجاجا على اعتقالهم الاداري والظروف اللاانسانية التي يعانون منها في هذا المعتقل الصحراوي .

Digitized by Birzeit University Library

وقال المحاضر الدكتور نسيم كلدرون : اننا توصلنا الى هذه الصيغة بعد نقاش وحوار متواصلين ، ولم يكن سهلا تحقيق ذلك ولكن ها نحن نوقع اليوم على الاتفاق وكلنا ثقة بالمستقبل وامل في ان تكون هذه المبادرة الخطوة الاولى على طريق السلام المنشود.

وقال الشاعر اسعد الاسعد ، رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة اننا بهذه الخطوة نعبر عن رغبة شعبنا الفلسطيني وقيادتنا الشرعية والوحيدة ، منظمة التحرير الفلسطينية ، في تحقيق السلام واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة - وان العقبة التي تعرقل الوصول الى هذا السلام هي سياسة حكومة اسرائيل ، ورئيسها شمير ، الذي يعلن انه لن يتنازل عن اي شبر من المناطق المحتلة .

وقال الممثل يوسي شيلواح انه يشعر بالاعتزاز بانضمامه الى لجنة تضم كتابا وفنانين فلسطينيين من المناطق المحتلة ومن اسرائيل ، كما يعتبز بان يكون مع كتاب وفنانين يهود تقدميين ، في هذه اللجنة .

وطالب حكومة اسرائيل بان تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية من اجل التوقيع على اتفاقية سلام . وقد وجه الصحفيون اسئلة الى المشاركين في المؤتمر الصحفي اجابوا عليها مبرزين اهمية هذه الخطوة ، ومعربين عن ثقة تامة بان اختيار هذه الطريق هو اختيار لطريق السلام العادل والشامل في المنطقة .

هذا وقد وزعت في المؤتمر الصحفي رسالة من الكتاب والشعراء الفلسطينيين المعتقلين في "انصار ٣" (عبد الناصر صالح وعمر حمش وغسان عبدالله والمتوكل طه) الى زملائهم الاسرائيليين وفيما يلي نصها:

يعاقبوننا على تعاوننا معكم من اجل السلام !

وجه الكتاب الفلسطينيون المعتقلون في معتقل "انصار - ٣" الرهيب في النقب ، عبد الناصر صالح وعمر حمش وغسان عبدالله والمتوكل طه ، نداء عبر جريدة الاتحاد الى "الكتاب الاسرائيليين التقدميين والقوى الديموقراطية في اسرائيل" صادر بتاريخ ٢٩ ايار الماضي ولكنه لم يصل اليها الا في يوم ٦/٧ . وقامت الاتحاد بنشره في ٦/٨ و ٦/١٠ . وفيما يلي نصه:

"من تحت لهيب النقب ، ومن انات الضلوع المتكئة على الرمال ، نكتب لكم يا معشر الكتاب التقدميين والى كافة القوى الديموقراطية في اسرائيل.

"نكتب لكم من معسكر الابادة ، ابادة انسانية الانسان . ولو كانت هناك جهنم ، فسيكون "النقب" بسجنه مدخلها الاول. نعيش على فتات الخبز وبقايا الزبدة والمربى مع قليل من الفاصولياء والماء الساخن . تزاحمنا على فراشنا المتسخة الديدان والافاعي والعقارب. لم يسمح لنا بتبديل ملابسنا حتى الان رغم ما يزيد عن ٦٠ يوما على اعتقالنا.

"نذهب للطبيب في حالة الالم - رغم وجود عمليات جراحية لبعضنا - فيكون الدواء جرعة ماء وحبة "اكامول" هذا بعض من كل . وتعجز الكلمات عن وصف المخيم الذي نقبع فيه. تهمتنا الوحيدة اننا نشيطون. بعضنا قيل له انك تنشط وسط الكتاب الاسرائيليين . وكان فخرا لنا ان

Digitized by Birzeit University Library

نسمع هذا فنحن ممن اسرعنا الى اجراء الحوار معكم ايمانا منا بضرورة ذلك ، ايمانا بان للكلمة دورا نافذا وفاعلا اكثر من فاعلية "العوزي".

"اكدنا واياكم ضرورة عقد اتفاق سلام ووقعناه حرصا على مستقبل اطفالنا واطفالكم . هذا المستقبل الذي يضمن مستقبل المنطقة باسرها. اتفقنا واياكم ان لا ثقافة تقدمية في ظل كبت وحرمان واحتلال لذا رفعنا شعارنا المعروف "الثقافة في مواجهة العنصرية" ولا للاحتلال ! لكن ، هم - جهابذة العنصرية وقاتلي انسانية الانسان - وقفوا ضدنا جميعا. فاغلقوا الصحف الاسرائيلية التقدمية وحاكموا البعض منها وشددوا الرقابة عليها ، واعتقلونا نحن في المناطق المحتلة اعتقالا اداريا دون تقديمنا للمحاكمة.

"نحن هنا ما نزيد على ١٥ كاتبا وشاعرا نعيش ظروفا مأساوية تتناقض وادنى المفاهيم الانسانية . جميعنا مددنا ايدينا لكم لنسطر صفحة جديدة في تاريخ شعبينا لنضع حدا لاراقة الدماء . صحيح اننا نقبع في صحراء النقب . لكن رغم شدة الجفاف ، ها هنا ، نعاهدكم بان لا تجف اقلامنا وستواصل الكتابة على الدرب والنهج الذي عرفتموه عنا. سنكتب من اجل العدل والسلام . سنكتب من اجل ابقاء بسمة طفل. سنكتب من اجل منع سقوط دمعة طفل على اب / اخ استشهد او زج به في احد معتقلات الابادة . سنكتب دوما لكي نثبت رغبتنا الاكيدة في ان نرى شلومو واحمد يلعبان الكرة سوية . لا ان يقتاده شلومو الى السجن في منتصف الليل.

"كنتم كما عرفناكم ، دوما محافظين على العهد الذي قطعناه سوية ، تعملون دوما من اجله. ولكنكم مطالبون اكثر من اي وقت مضى ببذل جهد اكبر فنحن نقبع هنا في "النقب" وانتم الطلقاء الاحرار. وانتم تدركون ان سرمدية امال الكاتب وبقاء اسمه ليس مقرونا فقط بكثرة اعماله الشعرية او القصصية ، بل بمواقفه الانسانية .

"ما احوجنا ان نسمع صوتكم الجهوري. يقول:"لا" لكبت حرية التعبير، "نعم"للسلام العادل ،"لا" لقوى الظلم والاحتلال. "نعم " للعيش بطمأنينة وسلام فهيا بكم لتواصلوا الطريق من اجل ضمان مستقبل اطفالنا.

"وعهدا منا: ستبقى الكلمة الحرة الناضلة هي عنواننا . سنبقى اوفياء لضمائر شعبنا. سنبقى دوما جند النضال من اجل دحر الاحتلال واحقاق الحقوق المشروعة لشعبنا".

نص اتفاق سلام اسرائيل - فلسطين

نحن الموقعين ادناه ، كتابا وفنانين واكاديميين يهود وعربا في دولة اسرائيل ، وفلسطينيين في المناطق المحتلة ، ندعم ونتبنى اتفاق السلام بين دولة اسرائيل ودولة فلسطين العتيدة.

مبادىء اتفاق السلام بين اسرائيل وفلسطين هي كما يلي:

١) اقامة دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة ، في جميع المناطق التي احتلتها اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧، في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٢) تعترف هذه الدولة الفلسطينية ذات السيادة بحق دولة اسرائيل في العيش بسلام وامن ضمن حدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧. وبالمقابل ، تعترف اسرائيل بحق الدولة الفلسطينية في العيش بسلام وامن في حدودها هي.

٣) الدولتان المستقلتان - اسرائيل وفلسطين ، توقعان بينهما على اتفاق سلام وكذلك على اتفاق عدم اعتداء متبادل. وستكون هناك حاجة لضمانات دولية ملائمة لتأمين سيادة الدولتين وسلامتهما في حدودهما المعترف بها.

Digitized by Birzeit University Library

٤) القدس ، مجردة من السلاح وبحدود مفتوحة ويعيش فيها الشعبان جنبا لجنب في طمأنينة ، هي عاصمة لدولة اسرائيل ، وهي ، في الوقت نفسه ، عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة.
٥) يجب حل قضية اللاجئين الفلسطينيين حلا عادلا ضمن اتفاق السلام.
٦) كل الاجراءات لاقامة الدولة الفلسطينية وحتى اقامتها فعليا تتم باشراف دولي.

اننا ندعو ، بهذا ، حكومة اسرائيل الى فتح باب المباحثات ، فورا ، مع منظمة التحرير الفلسطينية بهدف تنفيذ اتفاق السلام المقترح هذا في اطار مؤتمر دولي او اي اطار اخر يكون مقبولا على الاطراف المعنية . ومع بدء المفاوضات تلتزم الاطراف بالتوقف عن اعمال العنف ضد بعضها البعض.

الموقعون (حسب الابجدية)

• حافا البرشتين (مغنية) • اسعد الاسعد (مشاعر - رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة) • علي الخليلي (شاعر) • سميح القاسم (شاعر - رئيس اتحاد الكتاب العرب في اسرائيل) • جميل السلحوت (كاتب) • د.وصفي الكفري(محاضر - جامعة بيرزيت) •عدنان الكاشف(كاتب) • تولي باومن (رسام) • محمد بكري (ممثل) • شمعون بلاص(كاتب) • غداليا بيسر (ممثل - مخرج) • يعقوب بيسر (شاعر) • اوري بيرنشتين (شاعر) • ابراهيم جوهر (كاتب) • محمد حمزة غنيم (شاعر ومحرر). • ياثير غاربوز (رسام) • سهام داود (شاعرة) • كريم دباح (رسام) • داني هوروفيتس (كاتب مسرحي) • يوشكا فالرشطين (رسام) • بروفسور نتان زاخ (شاعر) • اميل حبيبي (كاتب ومحرر) • ياعيل لوطان (كاتبة ومحررة) • سليمان منصور (رسام - رئيس اتحاد الفنانين التشكيليين في الضفة الغربية وقطاع غزة) • سلمان ناطور (كاتب) • يهوشواع سوبول (كاتب مسرحي) • د.سمير عبدالله (محاضر - جامعة النجاح) • د.تامر عيساوي (محاضر - جامعة بيرزيت) • نبيل عناني (رسام) • دان كيدار (رسام) • عاموس كينان (كاتب) • د.نيسيم كلدرون (محاضر - جامعة تل ابيب) • غرشون كنيسبل (رسام) • يورام كانيوك (كاتب) • يوسف شيلواح (ممثل - مخرج) • ايلان تورن (ممثل - مخرج) • خليل توما (شاعر) • خالد البطراوي (كاتب) • حسام ناصر (فنان) • جمال بنورة (كاتب) • عباس عبد الحق (محاضر في جامعة بيرزيت) • حيان الجعبة (مسرحي) • ماجد ابو غوش (شاعر) • تيسير عاروري (محاضر في جامعة بيرزيت) • د. زكي عبد المجيد (محاضر في جامعة بيرزيت) • د. خليل محشي (محاضر ومدير مدرسة الفرندز برام الله) • غسان الخطيب (محاضر في جامعة بيرزيت) • عادل الزاغة (محاضر في جامعة بيرزيت) • د. خليل رشماوي (محاضر في جامعة بيرزيت) .

والشاعر متوكل طه والشاعر عبد الناصر صالح والكاتب غسان عبدالله والكاتب عمر حمش المعتقلون في "انصار ٣" الذين كانوا اعلنوا ، في ندائهم الى زملائهم الاسرائيليين ، توقيعهم على "الاتفاق".

Digitized by Birzeit University Library

الابداع والديموقراطية

* نبيل سليمان *

ينطلق هذا البحث من النظر إلى الابداع على أنه نشاط بشري بامتياز، نشأ في رحم الحرية، وعنه عبر، وإياه خاطب. وإذ وسمت الطبقية التاريخ من بعد، صارت الحرية حلماً، فسحة نادرة، جذراً غائراً ومكيناً، كما اتسعت معانيها وغدت لازمة المستقبل البشري.

وسوف ينحدّ هذا البحث بواحد من ألوان الإبداع. هو اللون الأدبي، من خلال ما يبدو أنه الشواغل الأساسية الساخنة لأولي الأمر من مبدعين وقراء، في حاضرنا وفي الأفق المنظور. وهنا ترتسم الديمقراطية مرمزة لرأس تلك الشواغل.

١ - ونبدأ بقارىء الأدب. فهو، كما المبدع الأدبي، غيره في العلم. وأمر الذات في الإبداع الأدبي، لا يتعلق بالمبدع وحده، بل بالقارىء أيضا.

لقد علا طويلاً الصوت الذي ينكر أن يكون للقارىء بعدٌ ما في العملية الإبداعية. وكان ذلك خاصة في بعض التيارات المحدثة من الخطاب النقدي الأوروبي. مما تسرّب بحرارة واتّساق متفاوتين إلى خطابنا النقدي والأدبي في الفترة الأخيرة على نحو خاص.

والملحوظ أن ذلك الإنكار للقارىء يطّرد عامة مع تضخم الذات الإبداعية في المبدع، على نحو يحجّم أواصرها الاجتماعية. وبعزلها عن بحرها البشري. والملحوظ أيضاً أن ذلك الإنكار يأتي رداً انفعالياً على تقزيم الذات البشرية، لا الإبداعية فحسب، عبر المناخات الاستبدادية الطبقية.

هو إذن نوع من التقوقع، من الاحتماء بالقوقعة، والعجز عن الفعل في مواجهة الأخطار الخارجية

Digitized by Birzeit University Library

المتمثلة هنا بتهميش دور المبدع أو إلحاقه أو استغلاله... إلى آخر ما يتعرض له في الأنظمة الطبقية.

على النقيض من ذلك، راح يعلو أيضاً الصوت الذي يولي بُعد القارىء في العملية الإبداعية المكانة الأولى، بل والمطلقة. وكان ذلك أيضاً في تلك التيارات المحدثة من الخطاب النقدي الأوروبي، وتسرباتها المتفاوتة الحرارة والاتساق إلى خطابنا المماثل، في الفترة الأخيرة.

وهذا الكلام حول القارىء تتباين منطلقاته. فثمة من لا يرى الإبداع حكراً على صفوة أو نخبة معينة من الأدباء أو العلماء... إذ ينطوي كل إنسان على إمكانية إبداعية لا تنحصر أشكال تجلياتها ولا مدياتها. وهنا يبدو الإبداع نتاج الاجتماع البشري بما يعنيه ذلك من أولوية العمل والواقع الموضوعي[1].

بالمقابل، ثمة من يبالغ في ذلك، ويلغي أو يشوه الذات الإبداعية، فيوقف الإبداع على ذات النص، والمتلقي. وهنا، لا ينبغي أن يؤخذ المرء بهذا الاعتبار المضاعف الذي يولى للقارىء. ففي جذر هذا الموقف، مهما تموضع، نظر محدد للذات الإنسانية سواء كانت ذات المبدع أم القارىء، ونظر محدد للنتاج الإبداعي ولعملية الإبداع. فالأمر برمته يبدو تسليعاً للإنسان، والقارىء هو مستهلك السلعة. وعلاقة القارىء بالمبدعات علاقة المستهلك بالسلعة. والمناخ الرأسمالي ـ ومسخ الرأسمالي ـ أخيراً هو في أسّس ذلك كله. وبالطبع، فثمة بين ذينك الموقفين تدرجات شتّى.

٢ ـ في إطار ندوة (النقد والإبداع في الأدب العربي الحديث) التي انعقدت ربيع العام الماضي في الدار البيضاء، أشارت يمنى العيد إلى القراءة والقارىء في تحديدها لمفهوم الكتابة / الإبداع. ومن هذه الإشارة انطلق رشيد بن حدّو في تعقيبه على مداخلة العيد، مفيضاً في تلك النظرية التي يرى أن النقد العربي لم ينتبه إليها بعد، وهي نظرية التلقي النقدي لكيرتيل. ويوضح بن حدّو أن هذه النظرية تموضع النص ضمن العلاقة بينه وبين القارىء، لا ضمن علاقة الكاتب أو السياق العام بالقارىء. وتغدو بذلك الموضوعية الجديدة للممارسة النقدية: التلقي أو القراءة. ويصبح النص احتمالية مضمرة، يتطلب تحققها مساهمة القارىء الذي يمنح النص معناه ودلالته، وذلك بوصله وبَنْيَنَته لمجموع الملفوظات وكذا البياضات التي تشكل مادية النص. يقول: «إن هذا المنظور الفينومنولوجي أو التلقي، يجعل من القارىء المبدع الحقيقي للعمل الأدبي. هذا العمل الذي لا يعدو كونه كتلة من المعاني أو الدلالات المترتبة عن مختلف القراءات التي يباشرها القراء عبر الزمان والمكان»[2].

تأسيساً على ذلك يرفض بن حدو استنساخ المعنى الأصلي للنص، انطلاقاً من المعطيات الزمانية والمكانية المنتجة له، أو من مسلمات النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، أو من اعتبار النص مرسلة من ذات

---

(١) وهذا ما ينير منطلق هذا البحث في النظر إلى الإبداع.

(٢) مجلة الكاتب العربي. السنة الثالثة. العدد ١١ لعام ١٩٨٥ ص ٨٣.

Digitized by Birzeit University Library

المبدع. فكل ذلك لا فائدة منه سوى الفائدة التاريخية. (؟).

هكذا يكون دور العملية النقدية تحليل القراءات الممكنة أو الواقعة للنص من زاوية فينومنولوجية، أي من زاوية التلقي النقدي. ولن يكون مقياس تقييم هذه القراءات إذن - كما يحدد بن حدو - مبنياً على الصحة أو الخطأ، بل على التماسك أو اللاتماسك بحيث يصبح ما هو مهم، القارىء على سائر المستويات [٣]

إن التقديس، مهما كان حسن النية فيه، وأياً كانت المنطلقات والتوجهات، يقود إلى تسويد المقدس وتقزيم سواه أو إلغائه. وتقديس القارىء هنا أدى إلى تسويد واحد من عناصر العملية الإبداعية وكسر عنصريها الآخرين، مرآتيها الأخريين، وتعطيل جدلها وديناميكيتها بالتالي. ففي هذا التقديس ألغي المبدع، وسياق الانتاج، وارتهنت ذات النص بذات القارىء، مما جعل العملية النقدية حبيسة أقنوم واحد من أقانيم الإبداع، مهما كان البحث فيه ضرورياً - وهو بالغ الضرورة بالتأكيد - لكنه ليس كل شيء.

ما هو هذا النص المتماسك أو اللامتماسك؟ وكيف يتحدد تماسكه؟ ما بنيانه وما رؤاه؟ وبالتالي أين هو المبدع وأين هي الشروط الموضوعية والذاتية للإنتاج؟ هذه الأسئلة - لا السؤال عن الصح والخطأ في النص - تحتجب في هكذا تقديس، ولا تتقزم وحسب، ولا ينفع من ثم الاحتماء بالقارىء وإعادة إنتاجه - لا إنتاجة للنص في درء القول المضمر بنفي اجتماعية النص وماديته وجدليته.

يرمز قول بن حدّو لواحدة من الأطروحات المتكاثرة في خطابنا النقدي والفكري في السنوات الأخيرة، والتي ترجع بشكل أو بآخر أصداء أوربية خاصة، من فرنسا وألمانيا الغربية، تدلل من جديد على اضطراب استيعاء الذات والآخر، على اضطراب إشكالية المثاقفة، ودوماً تحت يافطة التحديث وأحداثة والعصرنة واليسار واليسرنة، وسوف نتابع فيما يلي ترميزاً آخر لتلك الاطروحات من خلال ما يسوقه عبد العزيز بن عرفه في الإبداع. ففي زعمنا أن مجادلة ترميزات تلك الاطروحات من الأهمية بمكان. ليس في هذا المنعطف البنيوي الذي يلف دنيا العرب وحسب، بل في أية مرحلة أخرى.

ينطلق بن عرفه من الأوديبية في دراسته للفعل الإبداعي، في جدلية تلقيه وكتابته. ويفتح معالجته لذلك بالسؤال التالي: « يمكن أن تقاس حرارة أو نبض كتابة إبداعية لمرحلة تاريخية إذا توفرت إبداعية التلقي. فإلى أي مدى كانت كتابتنا إبداعية، يعني جدلياً، إلى أي مدى كانت قراءتنا إبداعية » [٤]؟

ليس الخلاف هنا مع كون إبداعية التلقي أحد مقاييس حرارة أو نبض إبداعية الكتابة، لكن الخلاف في الإجابة بالسلب على السؤال عن إبداعية الكتابة العربية. وليس الخلاف أيضاً مع رسم النص الأدبي وعلاقة القارىء به. إذ يتابع بن عرفه أن النص - أو فضاء الكتابة كما يرادف - يتكون من نص

(٣) السانكروني. الدياكروني. الاستيطيقي. السيموطيقي... كما يعدد.

(٤) احياة الثقافية. العدد ٣١، تونس ١٩٨٤، ص ٤.

Digitized by Birzeit University Library

سائد متضمن بدوره لنص أو نصوص تتصارع معه، حسبما تكون عملية التلقي. فالقارىء لا يدرك النص إلا باستيفائه لأغلب إيماءات حقله الدلالي ومعانيه الخاصة المتضمنة في المعاني المباشرة. إن النص يقول بمجهوله إذن - أي مكبوته - عبر إيماءات حقله الدلالي وإيقاعاته. وكذلك عبر كيفية احتلاله المساحة البيضاء، أي توبوغرافية النص، من توزع الفقرات وعلامات الترقيم وفراغاته.. وهذا ما يذهب إليه بن حدّو أيضاً.

ليس الخلاف في ذلك كله، لكن الخلاف في ارتهان ذلك للفهم الأوديبي للإبداع، وفيما يؤول إليه مما سنؤجل مجادلته، حتى نفرغ من النقاط التالية.

٣ - لقد تحققت فوائد جمة جراء الاهتمام ببعد القارىء في العملية الإبداعية. فعناية علم الإشارات مثلاً - حيث النص إشارة والمبدع مرسلها والقارىء من يستخدمها - بتأثيرات منظومات الإشارات في المتلقين، ساعدت إلى مدى أو آخر على دراسة المنفعة التي تتحقق للقارىء، كما ساعدت العناية بعلاقة الإشارة بمحمولها - أي بالإشارة كوسيلة تعبير - على تحقيق فوائد أخرى في اكتناه النص.

لكن علاقة القارىء بالنص ليست ممكنة التموضع إلى مدى أقصى. ليست علاقة نفعية فقط، فثمة أيضاً المتعة.

إن المتلقي يرمز لميول وأمزجة وبنى نفسية وثقافية وشرائح وفئات وطبقات وتكوينات بيولوجية أيضاً، فضلاً عن أن مبدع النص الأدبي ذات أخرى بعينها، والعلاقة بين القارىء وما ينتجه هذا المبدع بالغة التأثر بما تحقق للنص نفسه من (ذات) مستقلة، وللمناخ المحيط بالعلاقة نفسها. وهكذا يبدو للوهلة الأولى أنه مع تقدم العلوم تزداد مسألة القارىء إبهاماً أو تعقيداً، مما ييسّر للدعوة إلى تجاوزها بعض السبيل، أو يدفع - على النقيض - إلى القفز فوق الصعوبات والإشكالات. والوقوع في ذلك التقديس المطلق. ماذا إذن؟

مع الإبداع ينبغي أن يوطن المرء نفسه على التناقضات، على توالد الإشكالات، وإذا كان الفكر قد تحقق إلى مدى بعيد من اكتناه الإبداع، بدءاً من دراسة المجتمع البدائي، ووصولاً إلى علم الإشارات. إلا أن المجال لا يزال فسيحاً أمام المزيد من الشغل هنا. ولكيما تتحقق الإفادة من الخطوات التي أنجزت على هذا السبيل، في سائر المستويات، تبدو أهمية المنطلقات والتوجهات، تبدو أهمية أن تُحاول الإجابة أو تولد الأسئلة أو تواجه الإشكالات في درس العملية الإبداعية انطلاقاً من البيولوجية أو الفرويدية أو المادية التاريخية مثلاً. وبالتالي أن تتوجه إلى هذه الغاية أو تلك من درس العملية الإبداعية.

هنا يبرز الاستيعاب الجمالي للنص من قبل القارىء في رأس العلامات التي ترسم علاقة القارىء بالنص وبمبدعه وبنفسه كمبدع آخر أيضاً، بالقوة أو بالفعل.

فالقول بأحادية المنفعة يأتي على الاستيعاب الجمالي. كما أن القول بأحادية المتعة يبتذل ذلك

Digitized by Birzeit University Library

الاستيعاب أو يعيده إلى مراحل سابقة من تطور الإبداع والاجتماع البشري. إن أحادية المنفعة ـ سواء توسّل درس الابداع هنا علم الإشارات أم جمالية التلقي أم سواهما ـ تجعل علاقة القارىء بالنص علاقة استهلاكية، فيغدو النص سلعة، والقارىء مستهلكاً. فهل الأمر كذلك؟ وماذا يعني ذلك؟

قد يتعاطف القارىء مع النص، وقد يرفضه. قد يسائله وقد يتعلم منه وقد يعيد تفسيره على غير ما ابتغى المبدع... في هذا كله وفي سواه مما يرسم علاقة القارىء بالنص، لا يغيب قط تفاعل القارىء مع النص انفعاله به. لا يغيب التفاعل مع / والانفعال بشحنات النص الشعورية ومحمولاته الفكرية وإشعاعات بنائه الفني. أي باختصار: مع طاقة النص الجمالية. وهنا تكون حركة ذات هذا القارىء أو ذاك. هنا يكون الحديث عن الفاعلية الإبداعية للقارىء.

منذ عشرات السنين لم تكن السينما معروفة. المسرح في بلادنا لم يكن معروفاً. ومع ذلك فالقارىء اليوم أمام مثل هذه المؤثرات وسواها الكثير الكثير. القارىء اليوم أمام مؤثرات روحية جمة ومتوالدة، متنوعة ومتفاوتة ومتناقضة. والإبداع الأدبي ليس غير واحد منها. ليس غير جزء يسير مما يتصل بالتنوع الجمالي والثقافي للقارىء. لقد ولّد العصر الحديث بعامة لدى القارىء في كل مكان حاجات جمالية جديدة. فإلى أي مدى يخاطب النص هذه الحاجات؟ إنه السؤال الذي يتضمن كيفية هذه المخاطبة وآلية التفاعل مع القارىء، أليس مقام الوظيفة الجمالية للإبداع ها هنا؟

ليست العلاقة بين القارىء والمبدع / والنص تعليمية. فالمعرفي في النص ليس درساً إضافياً خاصاً يتلقاه القارىء مجاناً أو مأجوراً في منزله أو سفره أو في قاعة المطالعة ضمن المراكز الثقافية العامة. ليس المبدع معلماً والقارىء تلميذاً. فالوظيفة المعرفية أو الفكرية أو التربوية أو التحريضية للنص لا تتحقق بغير الطاقة الجمالية المخاطبة لحاجات القارىء ونزواته. القارىء يفيد أو لا يفيد من النص على طريقته هو، وبحسبانه هو، سواء اراق ذلك المبدع أو لدارس الأمر أم لم يرق. القارىء في استيعابه الجمالي للنص له معاناته الخاصة التي قد تكون بدائية، غضة، متعرسة، مدربة.. لكنها كيفما كانت فهي معاناة أيضاً. المعاناة ليست وقفاً على المبدع. والنشاط التخيلي ليس وقفاً على المبدع. فللقارىء أيضاً نشاطه التخيلي ومعاناته النفسية والجمالية. وبهذه المعاناة وذلك النشاط يمارس القارىء إبداعيته، إذ يكون قُدراً آخر من الجدل قد تحقق بينه وبين النص، أو كما يفضل أن يعبر بعضهم: قدر من اللعب، فسحة من اللعب، واللعب هنا هو الممارسة الاجتماعية الذاتية للقراء، هو اللذة والنفع الخاصان بالقارىء، هو فسحة من فسح الحرية أيضاً.

٤ ـ ومن العلامات التي ترسم أيضاً علاقة القارىء بالنص وبالمبدع وبنفسه هو، ما يدعى بالحوار، هذه الكلمة التي تخص بها سفيتلوف الفن كله.

فالمبدع الأدبي يتوخى قارئاً. وقد يزور القارىء عن المبدع لهذا السبب أو لذاك، بيد أن قارئاً ما يسكن في تلافيف وحنايا المبدع، وإذا لم يكن المبدع من أولاء الذين يكذبون على أنفسهم وينكرون

Digitized by Birzeit University Library

توخيهم للقارىء - أياً كانت الأسباب - فإن القارىء إذن هو وكد المبدع. ولكن، من هو هذا القارىء؟ إلى أيّ قارىء يتوجه المبدع؟

مثل هذا السؤال تتضاعف أهميته في مثل هذا المنعطف البنيوي الذي يلف دنيا العرب اليوم، حيث - فيما يخص السؤال - تنفشى الأمية، وتنعثر وسائل النشر والتوزيع، وتتصلب وتتعاظم حواجز الرقيب ولقمة العيش، وتفرخ الأوهام والإحباطات.

هنا نعود إلى المدى الذي يتحسّس فيه المبدع النبض التاريخي، نبض الزمان والمكان والإنسان في مجتمعه، وإلى المدى الذي استطاعه من التعبير عن ذلك التحسّس.

حين يكون هذا المدى هو الهاجس، فإن التوجه إلى القارىء لا يغدو هدفاً ولا عائقاً. بل يغدو حافزاً ومنارة يفعلان فعلهما في بنية النتاج الإبداعي. إننا نرى ذلك في صلب ازدياد إقبال القراء على نتاج العديد من الكتاب والشعراء العرب في السنوات الأخيرة، دون إهمال المطبات الكثيرة لمثل هذا التقدير. إننا نرى ذلك في صلب ازدياد الاقبال على الابداعات الروائية عبد الرحمن منيف، حنا مينه، صنع الله ابراهيم، حيدر حيدر، اميل حبيبي، هاني الراهب، يحي يخلف... وسواهم من الروائيين، وكذلك ابداعات محمود درويش، أدونيس، سميح القاسم، أحمد فؤاد نجم، سعدي يوسف، وسواهم من الشعراء. وهنا يأتي السؤال المعاكس لهذا الذي نحن في صدده: ماذا يمكن أن نقرأ في صلب عزوف القراء عن عمل بعينه لمبدع ما أو عن نتاج مبدع ما..؟

مرة أخرى نؤكد أن مواجهة مثل هذه الأسئلة محفوفة بالمطبات الكثيرة. ولكن إذا كان ثمة مكان هنا للملاحظة أو التقدير العام، أفلا يحق لنا إذن أن نتساءل عن سبب العزوف مثلاً عن رواية المرصد لحنا مينه مقابل الاقبال على أعماله الأخرى؟

مهما يكن من أمر، فإننا ندعو المشتغلين بهذه الأمور - وخاصة الأدباء - إلى إيلاء هذه المسألة بعض العناية. ونحسب أنه مما يتصل بذلك أيضاً الالتفات إلى الاقبال أو العزوف عن الابداعات المترجمة.

قد لا يعثر المبدع على قرائه سريعاً. قد يعزف القراء عن نتاجه في زمانه، وإنْ توفّر للنتاج ذلك النبض التاريخي والإنساني الحار وطاقته الجمالية. إن ما ذهبنا إليه أعلاه لا يغفل عن مثل هذه الحالة. فنحن لا نرسم قوانين ولا نرسل المطلقات. وهنا نتابع إلى أنه إذا كان لا ينبغي لعزوف القراء عن ذلك المبدع أن يقيقره إلى قوقعة الذات، فإن الأحرى به أن لا يدفعه ذلك إلى اللهاث خلف القارىء. فإشكالية الإقبال والعزوف لا تجد حلولها بالتقوقع ولا باللهاث. إن تاريخ الإبداع الأدبي وغير الأدبي حافل بالمبدعين الذين أنكرهم زمانهم. ومثلنا العربي «كل نبي في أرضه مهان» ليس مجانياً. التاريخ حافل بأمثلة المبدعين الذين ما نالوا حظهم، ليس من المال أو الجاه، بل من القارىء، إلا بعد موتهم بقليل أو بكثير. إن السلسلة تتصل من الخطيئة حتى رياض الصالح الحسين. وإخلاص المخلصين من تلك السلسلة لإبداعهم رغم ما واجهوه، وإقبال القراء على إبداعهم بعد موتهم، إنما يدلل - في جملة ما يدلل

Digitized by Birzeit University Library

عليه ـ على أن أولاء المبدعين لم ينتظروا جزاءً ولا شكوراً، رغم ما يوفره ذلك عادة من غبطةٍ وتحفيز فالمهم أن ينتج المبدع ما ينطوي على أهلية الفعل الابداعي في المتلقي، الآن، وغداً. فإن لم يكن هذا، فليكن ذاك، لا عزاءً عن خيبة راهنة، ولا احتيالاً على عجز محتمل، بل توكيداً على الجوهري في العملية الابداعية، تجذيرها في الرحم التاريخي، تعبيرها الجمالي عن الحرارة الانسانية والنبض التاريخي.

والتحرز الشديد هنا مهم، من وهم بعض المبدعين أنهم ينتجون سلفاً، وعمداً، لقارىء سوف يأتي ذات يوم، كما يحلو للنخبويين أن يرددوا. فمثل هذا الوهم يربك عامة أو يعطل صلة المبدع بزمنه وبشره.

إن الإبداع من أجل قارىء المستقبل لا يكون بالقفز فوق زمان محدد ومكان محدد وبشر محددين لا يكون من خلف ظهر عصر المبدع نفسه. فلا التعالي على القارىء إذن، ولا اللهاث خلفه. لا تجاهله ولا التزلف إليه، بل الحوار معه بهذه المعاني الواسعة والثرية للكلمة. الحوار بذلك القول الخاص للمبدع، بذلك الصوت الخاص، بذلك الاشعاع الجمالي الخاص للنص، بتلك السباحة المبدعة في بحر الحياة.

لقد قال سارتر بحق فيما يتصل بالإبداع الأدبي اليوم: المقروء أساس المكتوب. ولا مكتوب خارج القراءة. ولكن كيف السبيل إلى أن يكون المكتوب مقروءاً؟ إن حل العقدة من زاوية ما نعالجه هنا ليس بطباعة ثلاثة آلاف أو عشرة آلاف نسخة من الكتاب، وليس الحل بتعميم إداري أو حزبي على وزارة أو كوادر لاقتناء تلك النسخ، ليجري الزعم بعد ذلك أن هذا العمل أو ذلك الكاتب جماهيري. مقروء.

ربما بدا الاسترسال فيما نحن فيه نوعاً من التنظير المجافي لواقع الأمور في بلادنا، حيث ما زلنا في بداية طريق القراءة. إن نزرة الدراسات المتعلقة بالقارىء العربي ـ والشكوى من ذلك ليست عربية فقط ـ لا تعطل الاجتهاد في أمر هذا العنصر من عناصر عملية الابداع.

إن العديد من المسائل والهواجس فيما تقدم، يغدو أيسر بما لا يقاس حين لا يكون المبدع والقارىء متزامنين، ويتخذ حينئذٍ هيئات أخرى. فالحديث عن قارىء المتبني اليوم غير الحديث عن قارىء عبد اللطيف اللعبي.

ترى، هل يقرأ القارىء تزجية للوقت؟ أم للاستعراض الثقافي؟ هل يقرأ بحثاً عن معادل نفسي؟ عن معادل سياسي؟ فكري؟ لأي من كوامنه يفعل؟ لجملة من ذلك كله أم لجماعة؟ إن ما هو مرضي في معالجة هذه التساؤلات لا يعقد فقط علاقة القارىء بالنص، بل كذلك علاقته بالمبدع المعاصر له. وعلاقة هذا المبدع بإبداعه.

مما هو شائع عربياً أن يؤخذ القارىء بصاحب النص، أو ضده، مثلما ـ وأحياناً أكثر مما يؤخذ بالنص أو ضده. النص هنا لا يبدو معطى موضوعياً كما هو شأنه، مهما بالغنا في أمر الذات. النص هنا

Digitized by Birzeit University Library

يغدو ما يسقط عليه القارىء من صاحب النص مثلما يكون في حالات شائعة أيضاً ما يسقط عليه القارىء من نفسه. وذلك هو أحد الجوانب المرضية لتعدد مستويات القراءة. فالإسقاط ليس الفاعلية المنشودة. ولا ريب أن تجاوز هذه الجوانب المرضية لا يأتي بقرار شخصي فقط، ولا بين رفة جفن وأخرى. فمن أجل أن يتجاوز النظر إلى صاحب النص كتجم سينمائي أو قائد سياسي، كحبيب شخصي أو عدو شخصي، لا بد من تعمق الخبرة وتراكم التجربة، وتجذر حالة القراءة في مجتمعنا، لا بد من حالة أرقى لجدل الذاتي والموضوعي في التطور الاجتماعي، فذاك مما يعين على تخليص العملية الابداعية بأقانيمها الثلاثة: المبدع والنص والقارىء، من علقها، كما يضاعف من تأجيجها.

*

قد يبدو أن ما خاضت فيه الفقرات السابقة واهياً أو بعيد الاتصال بأمر الإبداع والديمقراطية. لقد اخترت الابتداء بأمر القارىء وما يتردد بشأن علاقته بالنص والمبدع في خطابنا الراهن، وما يرجى أن ينير تلك العلاقة، توخياً لنهوض الحديث في الابداع والديمقراطية على شيء من ملموسيته وخصوصيته وتفاصيله المنسية غالباً. أما الفقرات التالية فستنحو منحى آخر أكثر مباشرة، وربما سخونة.

١ ـ قلنا في البداية إن الابداع قد نشأ في رحم الحرية، وإن الحرية قد غدت حلماً وفسحة وجذراً غائراً، مذ وسمت الطبقية التاريخ.

إن ما يستوقفنا هنا من ذلك المسار هو ما آل إليه المبدع في ظل التطور الرأسمالي ومن يدور في فلك هذا التطور، مهما كانت البراقع التي يتمظهر بها مناقضة وخداعة.

فمنذ كان فصل العمل عند المبدع واحداً من أصحاب المهارات، من الحرفيين اليدويين ذوي الشأن إن صحت المشابهة. أولاء الذين لم يترك لهم التطور الرأسمالي ـ وبشكل آخر ولا شبه أو مسخ هذا التطور ـ فسحة كبيرة في الصعود الطبقي. كذلك ارتهن الصعود الطبقي أمام المبدع بمدى ارتباطه وأرتباط نتاجه بقمة الهرم الاجتماعي. وفي هذا الارتباط كانت للمبدع إشكالاته الخاصة. فمتطلبات الآلية الرأسمالية وشبهها ومسوخاتها تتحدى ضبيعة المبدع. إن عليه أن يواجه قانون الانتاج الواسع مثلاً، وإن يكن ذلك على حساب المستوى، عليه أن يواجه المكانة الهامشية لنوعية الانتاج، حيث يتفشى في هكذا مناخ العزوف عن الابداع المتميز، والتجديد المزيف. وتستشري الصرعات والنجوميات. ولا يفوتنا هنا بالطبع أن المبدع غير المرتبط بقمة الهرم لا ينجو دائماً ولا تماماً من الآثار السلبية لهكذا مناخ، سواء أكان ارتباطه بالقاع الاجتماعي أم كان منكفئاً أم حائراً... وفي هاته الحالات جميعاً ثمة ما يكبح الحرية ويشوهها، وينغل في النتاج الابداعي فعله.

في رأس ما يتصل من ذلك كله بنا هو أمر تجيير المبدع الغربي، وتهميشه. وإلحاقه بذيل الآلية

Digitized by Birzeit University Library

المؤسساتية، حيث المطلوب أولاً ذلك الابداع الذي يسهم في تأبيد ما هو قائم. إن التهليل هنا يكون للتجديد المزيف الذي يقفز فوق الواقع المأزوم ويجافي حاجات التطور والتغيير والاجتماعي ويزيفها. التهليل هنا يكون لكلب الحراسة. والابداع الأدبي الذي يخرج عن المسار المطلوب هو الآبق الذي يواجه الترغيب والترهيب من كل صنف ولون، مما بات المبدع والقارىء يعرفها جيداً، بدءاً بالمكافاءات المالية، وإنتهاء بغياهب السجون العربية المتكاثرة والعتيدة. وربما كان التجلي الصارخ لذلك حبر الأقلام الذي نشر نتاجه في المؤسسات الرسمية أو في المؤسسات التي يملكها الرأسماليون والمترسملون. يسعى المبدع إلى نشر نتاجه في المؤسسات الرسمية أو في المؤسسات التي يملكها الرأسماليون والمترسملون.

٢ ـ كان أفلاطون كما هو معروف أول من استخدم مصطلح حرية الابداع. وقد رهن استحقاق المبدع لهذه الحرية بمدى ما يقوم به في سبيل الأرستقراطية.

بالطبع، المسألة أقدم من أفلاطون هي كما يعبر ز. أبرسيان في بحثه في حرية الفنان: «قديمة قدم الجماليات، ومعاصرة، وملتهبة كما كان الحال من قبل دائماً. وحول هذه المناظرة الجمالية تضاربت الأفكار والنظريات المتنوعة على نحو متواصل»[٥].

أفلاطون بلور حداً هاماً لما سبقه وما عاصره من وسم الطبقية للتطور الاجتماعي والروحي. وفي الكثير الذي تلا أفلاطون، مما يشير إليه ابرسيان، تتضاعف اليوم بالنسبة لنا، أهمية الأوهام التي تلف القول في حرية الإبداع الأدبي وغير الأدبي. إذ ما زال بعضهم ينشدق عالياً بصوت الأنا المبدعة، صراخها بالأحرى، في مواجهة المحيط والعالم كله. والبون شاسع بين ذلك الصراخ وبين تحقيق الذات في المبدعات وفي الحياة. شتان بين الصراخ وبين تجليات الصوت الخاص للأنا المبدعة في المبدعات، وكذلك ممارساتها العضوية الاجتماعية فمع الصوت الخاص تتعيّن الذات الإبداعية، وتمارس وتخصب. وبالصوت الخاص للأنا المبدعة يتصل بقارىء، ما وتتنامى الفاعلية النفسية والاجتماعية. الصوت الخاص هذا يتصل بالقارىء، ولا يصل إليه فقط. ومعه يتفاعل القارىء، ولا يرجعه فقط صدى جميلاً أو قبيحاً، خافتاً أو عالياً.

ذلك كله أمر. وأمر آخر هو التمركز حول الأنا، التقوقع في محارتها، التضخم المرضي للذات فهذا نكون مع ردة الفعل السابقة على المناخ الطبقي. نكون مع أسوأ تعبيرات النخبوية والتعالي، ومع الحدود الدنيا للوعي وللفكرية في العملية الإبداعية. نكون مع العجز عن الفعل الاجتماعي وقصور الرؤية. إنها التأثيرات البورجوازية في المبدع، والتي لا تغدو معها الحرية وعي الضرورة، بل تجاهلها وإنكارها، والانعزال عن المحيط الاجتماعي والاستعلاء عليه. هنا يبدو المحيط الاجتماعي عدواً، ليس في شطره

---

(٥) الوعي والابداع. تأليف مجموعة من العلماء السوفييت. ترجمة رضا الظاهر. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية، ص ١٩. وانظر أيضاً ص ٣٠ ـ ٣٢.

Digitized by Birzeit University Library

الذي يتحكم به ويشوّه إنسانيته، بل بمجمله. هنا تتسيّد أيضاً الحتمية الغريزية أو حتمية الخافية، وينقلب بذلك كله أو ببعضه الهرم على رأسه، ومع ذلك يُطلب منه أن يقف ويتوازن!!

٣ - خارج الإطار السابق يصدح مبدعون عرب أعلى فأعلى بالحرية والديمقراطية، فيما يمارسون أناهم الخاصة، صوتهم الخاص، في إبداعهم، في ممارستهم للعيش، بعيداً إلى هذا المدى أو ذاك عما تقدم من الصراخ بالأنا.

لقد تصلبت قبضة السياسي العربي، واستفحل إطباقه على الخناق، بما في ذلك نسبة متعاظمة من رصيده الاجتماعي نفسه. وفي مواجهة ذلك تغدو الديمقراطية المطلب الأكثر إلحاحاً، المطلب الأولي للمواطنية، للأهلية المدنية، من حق التعبير السياسي أو الفني إلى حق الرعاية الصحية إلى حق العشق والطلاق..

السياسي العربي الموسوم بنمط الاستبداد الشرقي في هذه المنطقة من العالم يمارس فاعليته كقابض على الحقائق المطلقة. وفي سياق ذلك لا فسحة للإبداع إن لم يكن تصريفاً لمطلقات السياسي، كما يقال بحق.

هذا يعني مرة أخرى تشويه وتجيير الإبداع، محاصرته وتهميشه، وبالمحصلة: تعطيله. هذا يعني في الحالة العربية وكل حالة مماثلة تكريس المتخلف، والسائد، لا التقدمي، ولا الجديد. تكريس الغيبي لا العقلاني، التافه لا الجاد. هل هي مصادفة أن نرى ذلك الطفح من المداحين أو المطربين أو الكذابة - لا الكتابة - مما يتسع احتلاله للمشهد؟

المناخ الاجتماعي العربي اليوم بالغ التلوث بما ينفثه السياسي المستبد فيه، فضلاً عما في الموروث، مما تراكب ووسم البنى الاجتماعية إلى مدى أو آخر بالاستبداد، بانتقاء الحوار، بتعطيل المبادرة، بحرف الفاعلية، بتقديس مقدس ما، بتغييب الديمقراطية. ولم يكن هذا كله وقفاً على القمة، بل إن تأثيراته تنال بنسب متفاوتة حديث البدائل الديمقراطية المنشودة على سائر المستويات.

مثل هذا الوضع لا بد له أن يخلق أوهامه. هكذا نسمع مثلاً الدعوة إلى فصل السياسي عن الإبداعي، فصلاً لا يتأسس فيما يمايز شغل كل منهما، بل هو الفصل المطلق. هكذا نسمع أيضاً الدعوة إلى تدمير الحديث السياسي، تقدمياً كان أم غير تقدمي...

لنر هنا القول الذي جاء في (بيان الكتابة) لمحمد بنيس: «إن الإبداع عامة لا يكن أن يتحول ويتجذر إلا من خلال اسئلته التي هي في عمقها على مستوى ما يركب وينسج الإبداع نفسه، اجتماعية تاريخية. ومن ثم لا يمكن تحقق القول والتجذر في غياب الديمقراطية. هذا جانب من أزمة الإبداع الشعري في المغرب الحديث، وسبب رئيس في الانقطاع»[٦].

من الحق أن توافر الديمقراطية رافعة للتحول والتجذر في الإبداع. لكن العكس ليس صحيحاً على

(٦) حداثة السؤال، دار التنوير، بيروت، ص ١٦.

Digitized by Birzeit University Library

نحو آلي. فعلى الرغم من انتفاء الديمقراطية في بلد أو آخر، في مرحلة أو أخرى، فإن ذلك لم يحل دون تجذر الإبداع وتحولاته اليسيرة أو الهامة. وإذا لم يكن الأمر كذلك فكيف نفسر التحول والتجذر الذي تحقق للرواية العربية منذ عقد ونيف؟ أم أن الإبداع الأدبي العربي كله - وليس الرواية وحدها - لم يعرف تحولاً ولا تجذراً في ظل هذا المناخ الذي تنتفي فيه الديمقراطية أو تتزور، وهو المناخ الذي لم يعد كذلك فجأة وفي ومضة عين؟

في (بيان الكتابة) هذا يحدد بنيّس قواعد الكتابة / "الابداع. وفي رأسها نقد المتعاليات، لا البنيان السفلي وحسب. ومن تلك القواعد أن لا كتابة خارج الممارسة. وإن ذلك كله بلا معنى إن لم يكن منجماً نحو التحرر. إن الكتابة / الابداع حسب بنيّس هي نفي لكل سلطة. ولا علقة لها بكل نقد عدمي أو فوضوي. ولا بأية تجربة أو ممارسة تعوّق تحويل الواقع وتغييره من وضعه اللاإنساني إلى احتفال جماعي. والإبداع إذن خارج على زمن الإرهاب، مهما تكن صيغته وأدواته[٧].

ليت الأمر كذلك حقاً. بل إن الأمر ينبغي أن يكون كذلك. ولكن منذ أن كانت الطبقية، وإلى أن تزول، لا يبدو الأمر حسبما يرغب بنيس ونرغب. فذلك هو (نشدان) المبدع الديمقراطي، ولكن أليس للطبقات العليا مبدعوها؟

ثمة كتابة أدبية أو غير أدبية، ثمة ابداع أدبي أو غير أدبي، مؤسس للسلطة، لسلطة. ما، لا ينفيها. ثمة إبداع لا يساهم في تغيير الواقع، بل في تأبيد واقع ما. أم أن الابداع وقف على دعاة تغيير الوضع اللاإنساني للواقع إلى احتفال جماعي؟

في التراتب الطبقي، وبالتالي في قمة الهرم، ثمة بشر يمارسون نشاطهم في ابتكار جديدهم أو الإرهاص له. لهم مخيلتهم ومشاعرهم ولا شعورهم ومقدرتهم التعبيرية عن ذلك. بل ربما أتيح لبعضهم بما أنهم (فوق) أن يذهبوا بعيداً في نشاط المخيلة وتشكيل التعبير. والمسألة إذن أن لهم إبداعهم ولنا إبداعنا. لهم مبدعوهم ولنا مبدعونا. فالإبداع - من جديد - كنشاط بشري بامتياز، نتاج اجتماعي تاريخي، لا مطلق. وإذا كان كذلك فهو ليس خارج طبقية المجتمع.

٤ - الأوهام تنزلق بصاحبها أي منزلق. وهي في سياق (بيان الكتابة) تظل محكومة بما ينطوي / وينهض عليه من أفكار واستبصارات علمية وتقدمية هامة. لكن الأوهام - أتراها كذلك فقط؟ - وصلت بغير بنيّس، إلى الضفة الأخرى، وهو يتلفع بالجدل والديمقراطية والتغيير والحداثة. لنتابع ما مر بنا قبل قليل لعبد العزيز بن عرفه.

من اللغة ينطلق بن عرفه، فيذهب إلى أنه ليس من مضمون ثقافي ايديولوجي غير متشكل في بنية لغوية، وهو يعني اللغة المقروءة المكتوبة. ماذا نقول إذن عن الفنون التي تعتمد لغة أخرى من صورة أو

(٧) المصدر السابق، ص ١٩، ص ٢٣.

Digitized by Birzeit University Library

صوت أو سواها؟ تراها بلا مضمون ثقافي أيديولوجي؟ على أية حال ليس هذا التعميم ما يعنينا هنا. فبن عرفه يحدد قبل ذلك أن اللغة المستقرة حارس أمين للسلطة في مفهومها الواسع. ويتابع إلى أن المحافظة على سكونية اللغة هي المحافظة على سلطة المضمون الثقافي الايديولوجي السائد. ومن هنا يكون حرص السلطة على سكونية اللغة والاحتراز من كل فعل إبداعي يمسّها. ويؤسس بن عرفة على ما سبق ـ ونحن نوافقه على ذلك تماماً ـ أن التغيير مرتهن إذن بإحداث علاقات جديدة في صلب اللغة كمادة شكلية. وفي هذا الإطار تأتي مسألة الديمقراطية، وتصبح المسألة الإبداعية سياسية. ونحن نوافقه على ذلك أيضاً على الرغم من التحفظ الشديد على ارتهان التغيير بهذه الحدود التي ليست إلا واحدة من فسح التغيير الاجتماعي.

يتوج بن عرفة مقدماته أن الكتابة لم تعد تهم والأمر كذلك بالحديث عن ماسح الأحذية، عن العامل والفلاح.. ويقول: «المسألة الكتابية اليوم ـ وهي كما أسلفنا بنية وعي ـ لم تعد تطرح في إطار تحديدات جغرافية مكانية = يسار (ثوري) ويمين (رجعي). فوق (بورجوازية) تحت (شعب). بل أصبحت تطرح في إطار علاقة الأنا بالآخر»[٨].

والكتابة في مآل هذا التحليل هي كما يسجل بن عرفة فعل لازم لا متعد. فهي لا تكتب شيئاً، بل تكتب الفراغ (اللاشيء). والكتابة الابداعية تؤسس اللغة كإنجاز فني يجعلها لا تقول ولا تعي إلا ذاتها، ولا تحيل على ما هو خارجها. لا نفعية ثمة البتة ولا قصدية. والأثر الابداعي ليس أثراً إبداعياً بما يتضمنه من معانٍ أو محتويات فكرية بل بإشكالياته الفنية.

من تلك المقدمات انتهى بن عرفة إلى هذه النتائج التي سبقه إليها كثيرون ممن يجردون الإبداع من هويته الاجتماعية، ويغلقون شرنقة الذات الإبداعية على نفسها، وهذا هو إلغاء كينونة الإبداع تحت يافطة تمجيده تحت يافطة الحداثة والتغيير والديمقراطية، أو بدونها.

السعي لتجريد الإبداع الأدبي وغير الأدبي من فكريته قديم. وهو السعي الذي ينتهي إلى عين ما ينتهي إليه السعي الذي لا يرى في الإبداع سوى فكريته. هذا السعي الذي يجرد الإبداع من طاقته الجمالية ومكوناته النفسية ونشاطه التخييلي ولعبه وتشكيله ليجعله حبيس الخطاب غير الأدبي أو غير الفني. السعيان يفترقان فيما يبدو مائة وثمانين درجة، ولكن لينتهيا إلى النهاية نفسها. ولا يسوّغ أياً من السعيين سوق المقدمات المتمركسة، وهو ما يلحظ في الإطار العربي وفي سواه، بعدما دفعت الماركسية بتغيرها للإبداع، وبتجليات تفسيرها، إلى سبيل آخر، لا تنغلق فيها الذات الإبداعية على شرنقتها، ولا يتجرد فيها الابداع من مكوناته الذاتية والموضوعية، بل يسهم بما هو نشاط بشري

(٨) مجلة الحياة الثقافية. مذكور سابقاً. ص ٦.

Digitized by Birzeit University Library

خاص وفعال في تأسيس وإنجاز التحديث والتغيير والديمقراطية.

٥ ـ ما شأن الإبداع اليوم مع الرقابات التي غدت كابوساً بالاطراد مع هيمنة السياسي العربي؟ إن أمر السياسي العربي الذي لا زال يعمل بقانونه هو ـ مهما كان ذلك القانون ـ يظل أيسر من السياسي العربي الذي يجعل قانونه نفسه حبراً على ورق، فيفتقد المواطن، مبدعاً أدبياً كان أم لا، ما يحتكم إليه، ويكون عليه أن يواجه في حالة من شلّ وتعطيل مدنية المجتمع وأهليته، في حالة من إلغاء المواطنية. وفي سائر الأحوال فإن ساطور الرقابة مشهر على رقبة المبدع، والقارىء، والناشر، والموزع، والرقيب نفسه!!

هي حالة من اللامعقول يبسطها السياسي العربي الدموي المعصوم على المواطن، يغدو فيها الاشتغال بالمخدرات على سبيل المثال أهون شراً ألف مرة من الاشتغال بالكتابة. إبداعاً أو نشراً أو توزيعاً أو قراءة. وبالطبع، فالكتابة المعنية هنا هي تلك التي تخالف الصراط المستقيم الذي رسمه السياسي، فلا يقبل الخروج عنه قيد شعرة. إن تعددية وجهات النظر والأطروحات والمواقف أمر مرفوض. وفي كثير من الحالات أمر مرفوض حتى في إطار تمجيد السياسي وتكريسه. لقد صار الأمر حقاً ذلك المضحك المبكي. إن المحرمات التي يعددها الرقيب العربي (شفاهياً في الغالب) ليست إلا المحرم السياسي والديني والجنسي. ليست إلا الرأي المنزل للسياسي، أو ملامسة ـ مجرد ملامسة ـ ما في الواقع ـ والموروث أيضاً ـ مما قد يبدو لك أنه تجسيدات سلبية للدين أو الجنس أو إدارة شئون الناس وتصريفها. ولكن، ماذا بقي لك إذن إلا أن تكون بوقاً؟

من المفهوم أن السياسي / السلطة لا يسمح بتجاوز حد ما، لا لكاتب ولا لمفكر ولا لمعارض ولا لمواطن. وبما أن كل سياسي / سلطة يمنح نفسه المشروعية من دعوى تمثيل المجتمع بأسره، فإنه سرعان ما يواجه المبدع بالمسئولية الاجتماعية. ويبدأ التجاذب لا العراك مذ وسمت الطبقية التاريخ، وإلى أن تزول، بين المبدع والسياسي. ولكن إذا كان ذلك التجاذب / العراك يغدو فعلاً مخصباً، يغدو منازعة / حوارية إيجابية، كلما تحققت العدالة وترسخت الديمقراطية وتقدم المجتمع على طريق البر، من الطبقية. فإننا في الحالة العربية الراهنة نرى الحدود التي يحدها السياسي العربي قد باتت من الضيق بحيث أنها تطبق على الخناق. وتلك الحدود، فضلاً عن ضيقها وصرامتها وقدسيتها هي متحركة، فلا نعرف معها ما هو ممنوع اليوم أو مستهجن غداً أو مسموح به بعد غد. والأمر لا يقف عند مصير رواية أو قصيدة أو عرض مسرحي أو فيلم سينمائي، بل هو يطال بسرعة ضوئية وبيساطة متناهية، عنق المبدع نفسه، عنق المواطن.

وبالإضافة إلى الرقابة الرسمية للسياسي العربي، يواجه المبدع رقابة مضمرة من إطاره الاجتماعي والموروحة هنا واسعة ومتناقضة. فإذا استخدم القاص مثلاً كلمات أو جملاً بإحدى العاميات العربية، يكون قد خرج عن المقدس اللغوي لبعضهم، ممن لا يتعاطون الفصحى إلا في القراءة والكتابة. وإذا

Digitized by Birzeit University Library

سمّى المبدع بعض المسميات الجسدية الغذائية أو الجنسية باسمها، يكون قد خرش حياء بعضهم ممن يستخدمون الأسماء نفسها دون مواربة في أحاديثهم أو يقرأونها في الكتب العلمية، فلا يتخرش الحياء. وعلى العكس أيضاً، قد نرى قراء آخرين يجافون ذلك الشاعر الذي لا يبطح السياسي بقصيدة، أو تلك الرواية التي لا تسمي كل الأسماء بمسمياتها... والأمثلة على ذلك كلّه أكثر من أن تحصى. لكأن الجاحظ لم يكتب يوماً البخلاء، ولكأن أبا الفرج الأصفهاني لم يكتب يوماً الأغاني... ومع ذلك، فالموروث نفسه يخضع للرقابة، ولكن ما هو مسموح به على كل حال في الموروث، وفي المترجمات إلى حد ما، محرم على من نعاصر من المبدعين. إنه المناخ العربي الملوث بما ينفثه السياسي المستبد. إنه المناخ الذي لا ينجو المبدع نفسه من تأثيراته، فتراه يكتب والرقيب السياسي والاجتماعي معشش في تلافيف دماغه.

٦ ـ هل يرسم ذلك لوحة سوداء مؤسية؟

إن عدد المبدعين العرب الذين يعون هذا المناخ، ولا يعيشونه فقط، يتزايد. ثمة غروق أو تساقط ـ والتساقط ليس واحداً دائماً ـ جراء هذا المناخ الذي ليست الرقابة أياً كانت إلاّ واحداً من عناصره. فلا ينبغي أن ننسى العامل الذاتي، أي دور ذاتية المبدع في العزوف أو التساقط.

العامل الذاتي هنا هام، كما هو في حالة أولاء المبدعين الذين يعيشون المناخ نفسه، ويعونه، ويسعون إلى تجاوزه. هؤلاء المبدعون حولهم ـ أيضاً وأساساً ـ من القراء من يعيش المناخ نفسه، ويعيه، ويسعى إلى تجاوزه. فليس الإطار الاجتماعي، رغم كل ما يفعله السياسي العربي المستبد، ورغم ضغط هذا الجانب أو ذاك أيضاً من الموروث، ليس كتلة صماء، واحدة، تقدس تلك المحرمات. بل إن في الإطار الاجتماعي، رغم كل ما توصف به هذه المرحلة من عقم وعطالة، من ينازل تلك المحرمات، أكثر وأعد مما بين المبدعين.

إن مواجهة المبدع لساطور الرقابة تفترض إبداع أساليب جديدة وأشكال عديدة، تبدو أحياناً متناقضة. ويلاحظ في المشهد العربي أن الغالب من تلك الأساليب والأشكال حتى اليوم هو: مواجهة العين للمخرز، حتى إن أودى بها. بعبارة أخرى: شكل صدامي غير بريء من الانتحارية، والتي تتفاعل في صنعها حرارة الانفعال وحدة الحساسية، مع مدى الضغوطات والنزوع الظهراني، وأيضاً النزوع العارم لحلول المبدع محل سائر البدائل المعارضة، السياسية والجماهيرية والمسلّحة. وليس بعيداً عن هذا الاسلوب في المواجهة ذلك النزوع البورجوازي الصغير، النزوع الفوضوي الموسوم بقصور النظر والنفس.

أما الشكل الثاني أو الأسلوب الثاني فهو ذلك النوع من التواطؤ المضمر بين المبدع والقارىء، والذي يفتق في تمرير هذه الدرجة أو تلك من المحرمات، بقنوات غير مباشرة. ويبدو اللجوء إلى التاريخ والإسقاط التاريخي أكثر هذه القنوات استخداماً، من الزيني بركات (رواية جمال الغيطاني) إلى قصيدة

Digitized by Birzeit University Library

اسماعيل لأدونيس. كما يبدو اللجوء إلى التعميم حول الحالة العربية السائدة قناة أخرى. ومن أمثلة ذلك ما نلحظه في العديد من الروايات من رسم خريطة جغرافية خاصة بأمكنة الرواية، قابلة للإسقاط هنا أو هناك، كما في الرواية ـ الملحمة التي قدم عبد الرحمن منيف: مدن الملح، أو روايته المشتركة مع جبر ابراهيم جبرا: عالم بلا خرائط، أو رواية (بدر زمانه) لمبارك ربيع وسواها..

هذا الشكل هو شكل التحرير. ولقد برع المبدعون والنقاد الروس خلال النصف الثاني من القرن الماضي خاصة، في تفتيق هذا الشكل. وتجربة أولاء درس ثمين أمام مبدعينا الذين لا زال اجتهادهم في التمرير محدوداً وسطحياً.

إنها لعبة، ولعبة خطرة. طرفاها المبدع والرقيب ـ الساطور. وعلى الرغم من بعض حالات الجهل في الرقباء، لكن الرقابة كآلية تطور أساليبها، وتبدع فيها هي الأخرى وتنجز (حداثتها). فليس المبدع وحده هو الذي يلعب. ولذلك لا ينبغي أن تركبه الأوهام، فيغرق في التعمية أو الترميز ـ التقية، أو في استغباء الرقيب والتشاطر عليه. إن هذا الاسلوب، كسواه، قد يعين على ظهور أعمال جديدة متميزه، مثلما يمكنه أن يكون مستنقعاً أو منزلقاً لا يقود إلى أحضان الرقيب، لكنه يقود إلى أعمال رديئة.

من المعروف أنه قد بادر عدد من الكتاب والشعراء والمفكرين عبر بيروت منذ عدة سنوات إلى تشكيل لجنة للدفاع عن الحريات، وبخاصة حرية التعبير. وقد أخفقت التجربة في المهد. وبعد ذلك بقليل أطلق الشاعر العراقي سعدي يوسف دعوته إلى تجربة مماثلة، وظل الأمر في إطار ـ الدعوة. إن هذا الإخفاق يتأسس فيما يطبع نسبة عالية من المشتغلين في أمور الإبداع الأدبي من تناحر الولاءات الحزبية والسياسية المعارضة للواقع القامع، أو من طغيان حالة الخلاص الفردي، أو من العلاقات الشللية، أو من تضخم الذات على حساب الآخر، وانتفاء الحوار بالتالي مع الآخر. وكذلك يبدو هنا بقوة الانعزال عن الرخم الجماهيري مهما بدا أن حركته واهنة، إضافة إلى غضاضة التجربة في العمل التنظيمي الاجتماعي.

إن استيفاء ذلك كله ضروري من أجل الخطى التالية، خاصة أن الوتيرة التي تجري بها الأمور متسارعة بنسب عالية على سائر المستويات. والزمن لا يرحم. وليس أمام المبدع إلا أن يرضخ أو يواجه، فسبيل البين بين لم يعد منجاة. وكلما احتدمت الأزمات واستفحلت هيمنة السياسي، ضاق هذا بتجارب الآخرين مفيداً. وإذا كان التدقيق في واقع الأمر مفيداً. فان الوصفات الجاهزة لا تنفع المبدع المواجه. إن عليه أن يبدع أساليب المواجهة.

★

قبل أن نختم هذا الكلام في الإبداع والديمقراطية نجد لزاماً علينا أن نواصل قليلاً في شأن الإبداع

Digitized by Birzeit University Library

غير المكتوب، مما يرسله المبدع الشفوي والشعبي المجهول. فعلى الرغم من محدودية هذا الإبداع اليوم، يبدو لنا أنه من المهم أن لا يُتجاوز في مثل هذا المقام، ليس من قبيل الإحاطة بالعلم، بل للصلة الوثقى بين هذا الإبداع وبعض شواغلنا في هذا المقام.

ولعل أفضل ما يأتي هنا، مما ظهر خلال فترة طويلة عن الإبداع الشعبي، الأدبي منه، وغير الأدبي، هو ما عالجه بو علي ياسين في بحثه (ينابيع الثقافة ودور الصراع الطبقي)[٩].

تنطلق هذه المعالجة من أسبقية الثقافة غير المحترفة على ثقافة المثقفين ومزامنتها لها. تلك الثقافة غير المحترفة لم تكن منفصلة عن العمل الانتاجي، وكانت شخصية مبدعها تذوب في شخصية المجتمع، فتبقى بالتالي مجهولة[١٠]. إنها الثقافة التي لا توصف كما يذهب ياسين بالرجعية ولا بالتقدمية «هي معبرة عن وعي العامة بصدق، وهو وعي خاطىء في نواح، وسليم في نواح أخرى. فهو أولاً يعبر بهذا الشكل أو ذاك عن مصالح العامة، ثم هو متأثر بأيديولوجيا السلطة السائدة، وبتجارب العامة في الصراع الطبقي (...) وفي كل الأحوال تتبنى هذه الثقافة مصلحة الجماهير حسب فهم الجماهير لهذه المصلحة». وفي الموقع نفسه تقترب هذه المعالجة أكثر من موضوعنا هنا، إذ نقرأ هذا التعريف للفن الشعبي: «الفن الشعبي تعبير عن واقع الشعب وعن خوالج نفسه. هو تعبير بسيط بساطة هذا الشعب، بتيب رتابة حياته، عميق عمق أحاسيسه. هو من الجماهير وإليها، تعطي فيه وتتلقى، لا تستمتع وتتفرج فحسب»[١١].

إن حديث الإبداع الأدبي، اليوم وبالأمس، عربياً كان أم غير عربي، هو من حديث الثقافة الشعبية والفن الشعبي في الصميم. ونظرة سريعة على شعرنا الحديث تؤكد مدى اهتمام الشعراء ـ لسبب أو لآخر ـ بالموروث الأدبي الشعبي. ولقد أخذ هذا الأمر يظهر في الرواية بقوة. وأقرب مثال إلينا هو تأثيرات ألف ليلة وليلة في البنية الروائية لعدد من الروايات التي ظهرت في السنوات الأخيرة من (ألف ليلة وليلتان) لهاني الراهب إلى (ليالي عربية) لخيري الذهبي، إلى (بدر زمانه) لمبارك ربيع... والتأثيرات المعنية هنا تتجاوز توظيف شذرات أو نثرها أو التيمّن بها أو التعامل مع الموروث الأدبي الشعبي الشفوي والمكتوب على أنه فولكلور طريف أو يافطة أصالة وبيئوية ومحلية. ولأن الأمر كذلك، فإن معالجة بو علي ياسين هذه ذات أهمية خاصة لمن يشغلهم الإبداع الأدبي، وليس فقط لمن تشغلهم الثقافة الشعبية أو القضايا الفكرية عامة.

الثقافة الشعبية، الفن الشعبي ـ يتابع ياسين ـ تتراجع أمام الثقافة المحترفة. ولكن الشعب ما زال قادراً على إغناء ثقافته وتطويرها حين تتوفر الفرصة. إننا نلمس ذلك حقاً حتى في أيامنا هذه، وفي

(٩) دار الحوار، اللاذقية ١٩٨٥.

(١٠) المصدر السابق ص ٦٣.

(١١) المصدر نفسه ص ٦٥.

Digitized by Birzeit University Library

أمسنا القريب، ولكن الأمثلة ليست في الغالب الأعم من الأدب الشفوي، ولن تكون من المكتوب فإبداع مثل ذلك وسيرورته حمله طويل وحاجته للزمن حتى يتحقق أساسية. لكن ما نلمس مثلاً في إبداع النكتة السياسية والاجتماعية في مصر، أو في ابداع الأهازيج بالعاميات أو بالفصحى في الانتفاضات الشعبية، لا يخلو من الدلالة أيضاً على الجانب الأدبي. فالحواجز بين حقول الثقافة الشعبية ليست كعهدنا في الثقافة المحترفة. الحواجز بين النقش والغناء والشعر والرقص والحكاية والأمثال ليست في الثقافة الشعبية مثلها بين الرواية والشعر، أو بين النص الأدبي والبحث الفلسفي.

إن أهمية ودقة هذا الذي قدمه بو علي ياسين تولّد ما يسألها، بحثاً عن مزيد من التدقيق والتعميق ومن ذلك أولاً السؤال عن العامة في السياق الذي تقدم. أتراه يخاطب ما كانت عليه الطبقات التحتية، ما كان عليه القاع الاجتماعي، أكثر مما غدا واقع الأمر، بعد ما طرأ في التطور الاجتماعي العربي من طوارىء العقدين الأخيرين خاصة؟ بعبارة أخرى، إلى أي مدى يمكنه أن تدل كلمة العامة اليوم على كتلة اجتماعية منجانسة، موحدة أو منسجمة في خواجها وفي مصالحها؟ ماذا فعلت طوارىء العقدين الأخيرين في القاع الاجتماعي، إفقاراً، وتضليلاً، ورشوة، واستغلالاً، وتشتيتاً، وإعادة تشكيل؟ ماذا فعل الراديو والتيلفزيون والمدرسة والوظيفة والعسكرة وسوى ذلك الكثير الكثير في نفسية ووعي ومصالح تدرجات القاع الاجتماعي؟ وإلى أي مدى بتنا أمام (عامة) أخرى، جديدة، عامة هذا الزمن؟ هل العامة التي انتفضت مثلاً في مصر في ١٨ و١٩ يناير مثلها عهدنا في بعداد العباسية أو في جبل لبنان عهد الأمراء؟

إذا كان لهذه التساؤلات مشروعية ما، فإن الحديث عن الثقافة الشعبية والفن الشعبي ـ ومنها الأدب ـ يحتاج إلى المزيد من التفصيل في آلية تعبيرهما عن خوالج ومصالح العامة. كتأثيرات الأيديولوجيا السائدة التي يشير إليها بو علي ياسين في الثقافة الشعبية، تضاعف الحاجة إلى التفصيل في مدى تعبير هذه الثقافة عن مصالح العامة. ولنضرب مثلاً من (العتابا). فالكثير منها، مما هو شائع، وحار، ومجهول المبدع، ينضح بالقدرية، بالاستثالية. وهو يعبر بذلك عن خوالج المقهورين جراء الاستغلال والتخلف. ولكن هل يعبر ذلك عن مصالح أولاء؟ لقد احترز ياسين لمثل هذه المتابعة حين قرن تعبير الثقافة الشعبية عن مصلحة الجاهير بحسب فهم الجماهير لهذه المصلحة. ونحن نضيف أن خنافي فإنها تتحسس مصلحتها وتتلمس سبيلها، سواء توفر لها من ينطق باسمها، منها أو من خارجها، أم لم يتوفر إنها تتحسس وتتلمس رغم أنها ترسل تلك العتابا أو ما يعادلها، مما لا ينسجم دائماً أو تماماً مع مصالحها. وتلك واحدة من إشكاليات الإبداع الشعبي. لعل هذه المتابعة وسواها مما يرجى أن يبادر المهتمون، سوف تساعد على رسم إجابة أفضل عليها.

لقد ختم بو علي ياسين معالجته للثقافة الشعبية بالتأكيد على أنها ليست بديل الثقافة الحديثة. فالبديل

Digitized by Birzeit University Library

هو الثقافة الجماهيرية[١٢]، أي الثقافة الحديثة التي تنبع من الشعب وتصب فيه. الثقافة غير المنقسمة إلى شعبية ومؤسساتية ولا إلى ثقافة المثقفين وثقافة العوام. وهذا كله مشروط بحرية الشعب. ولذلك فهو مشروع. وإلى أن يكون، ليس لمبدع ولا لقارىء يعنيهما الأمر أن يوفرا جهداً. ترى، أليست ديمقراطية في الأسس من ذلك كله؟

★

من النزوع إلى (توحيد) القارىء في العملية الإبداعية، إلى الغائه، إلى ما يرسم أو يساعد على رسم علاقة القارىء بالنص والمبدع على نحو مخصب وديمقراطي، من الخوض في ذلك عبر الفقرات الأولى نقل الكلام إلى إشكاليات وشواغل المبدع العربي في زمن استفحال هيمنة المستبد العربي، مما تعيش إشكاليات وشواغل قديمة أو جديدة، عامة أو خاصة بهذا المبدع، على مستوى علاقته بالقارىء، بالرقيب، بالتاريخ، بنفسه.

وأخيراً، كانت الوقفة مع المبدع والإبداع الشعبي، مقاربة أخرى مساءلة أخرى، للإبداع والديمقراطية. ولعل كل ما تقدم من مقاربات أو مساءلات لذلك، أن ينير الجهود المنشغلة به ويحفزها، وتلك هي غاية ما نصبو إليه هنا.

- عن مجلة "النهج" -

العدد ١٩٨٧/٧

---

(١٢) ثمة ثقافة أخرى نعتت بالجماهيرية، نقبض المعني هنا، ثقافة تقوم على الابتذال والسطحية والاستهلاك، وما أشبه. ثقافة لها شيوعها الفوري أيضاً، والأمثلة العربية في السنوات الأخيرة وفيرة، في المجلات والمسلسلات والأفلام... (قصص عبير مثلاً). ونحن نقترح أن لا نعت هذه الثقافة بالجماهيرية، كأن نسمي الثقافة السوقية - من السوق، دلالة على شيوعها ونوعيتها، فيما نصطلح الثقافة الجماهيرية على ما ورد أعلاه. انظر مادة: الثقافة الجماهيرية في معجم الشوعية العلمية، دار التقدم، موسكو ١٩٨٥ (باللغة العربية). إننا نرى أن معالجة المعجم للثقافة الجماهيرية على أساسي السوقية والابتذال، لا يحاصب حاجتنا الاصطلاحية في لغتنا ومنطقتنا وراهننا. والاصطلاح مهما تجرّد، هو لتشخيص محدد ولسياق صراعي محدد، في زمان محدد ومكان محدد ولغة بعينها.

Digitized by Birzeit University Library

وثائق

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة

اعداد : جميل السلحوت

٨ - الحكواتي

واحدة من ابرز همومنا الثقافية هي عدم توثيق هذه النشاطات والفعاليات من ناحية ، او "اختصار" بعض الحقائق و"اهمال" بعض الفعاليات من ناحية ثانية .

وهذا "الاختصار والاهمال" يقع في غالب الاحيان ضمن اطار "تعمد تغييب بعض الاتجاهات وانكار دورها" فضلا عما تلقاه من نكران وجحود ممن ارادوا لانفسهم دور الوصاية على الثقافة.

يقولون : هكذا .. والا فلا !

ويتبجحون : نحن من قبل ومن بعد ، ولم يكن قبلنا الا قبض الريح ، ولن يكون بعدنا الا الطوفان !

وتضيع الحقائق ، ويصبح الطاووس ، او ريشه الزاهي وحده ، بلبلا غريدا، ويشطب اسم البلبل من قاموس الحقائق. ويصبح التاريخ ارجوحة تعلو بفارس زهنا ، وتهبط بمن تقف "السدة" عنه الريش .

ان خلف الريش الزاهي طيرا مناضرا اعجفا ، فلا هو باللحم ولا بالشحم ، والفاقد للشيء لا يغني به عن شيء حقيق ، فلا يرد غائلة، ولا يسد وخلة.

كان طموح "الكاتب" دائما توثيق هذه النشاطات والفعاليات الثقافية في المناطق المحتلة، وكان دافعها ان تكون "الحقيقة" هي "الوثيقة" التي لا تضيع ولا تنسى ، وقد رأت هيئة التحرير ان تتوجه الى اصحاب هذه الفعاليات انفسهم ، من كل منحى فني او فكري ، لأن يقولوا كلمتهم الوثيقة هم انفسهم في مرآة ذاتهم.

سنتناول في كل "وثيقة" مجموعة او فردا مبدعا ، ليقول كلمته، دون حجاب او عتاب ، وسيكون دورنا الاصغاء ، كل الاصغاء.

اننا ندعو كل الفعاليات الثقافية للتعاون مع محرر هذه الوثائق ، ليستطيع بدوره ان يرفع صوتها ... للحقيقة والتاريخ.

Digitized by Birzeit University Library

الحكواتي

اعداد : راضي شحادة

الحكواتي هو احد الالقاب التي تطلق على راوي القصص الذي وصلت اخباره الينا بغزارة منذ عصر الاحتلال التركي لبلادنا الحبلى بالاحتلالات ، حيث كان يتنقل من حارة الى اخرى ومن سهرة بيت الى جلسة مقهى ، ليقص على الناس ما لديه من سير ابطال العرب القدامى واساطيرهم المقدمة بشكل شعبي كسيرة الزير سالم ، وابو زيد الهلالي وعنتره بن شداد وشجرة الدر وغيرها ، لاجئا باسلوب سرده الى عنصر التهويل والمبالغة والتشويق . لقد كان وجوده في تلك الفترة لا يقل اهمية عن وجود السينما والتلفزيون والمسرح في عصرنا الحديث ، وهو يكاد يشكل حجر الزاوية للشكل الاولي لبدايات المسرح في منطقتنا . في الغالب كانت قوة الجاذبية لديه كامنة باستعماله الحركات العريضة المبالغة ونبرات الصوت المنغمة المتقلبة من حالة الى اخرى كانها انغام موسيقى سيمفونية هائجة ، معتمدا كثيرا على عنصر المفاجأة والتهويل والتلاعب بالحبكة القصصية بشكل يشد اليه الانظار ، محركا ملامح وجهه ويديه واطرافه ، وهو ما يمكن تأريخه كبداية لاشكال مسرح الفرجة والتمثيل . ولانه كان يقوم بلعبته بمفرده فانه يذكرنا كثيرا ببدايات المسرح اليوناني القديم مع صاحب العربية "ثيسبيس" الذي كان يتنقل في عربته من قرية الى اخرى ليحكي الاساطير والملاحم الشعبية لجمهوره . ويبدو جليا ان مسرح السيرة الذي كان يغرق الحكواتي من نبعه مادته ، هو الشكل المرادف للشكل الذي استقاه قدماء "اليونان" لملاحمهم .

للحكواتي ارتباط وثيق بحضارتنا الشرقية وقد اتخذنا منه ، كوننا احفادا مخلصين له ، اسمه الجميل وجعلناه يبعث حيا من جديد على خشبة المسرح وقد وضعنا تحت تصرفه كل العناصر الحديثة التي تقوي فيه عنصر الفرجة او ما يسمى بالمسرح المرئي او الادائي ، مستعينين بالازياء والماكياج والاضاءة والكلمة والستائر والموسيقى والشعر والكريوغرافي والرقص واللوحات الخلفية والمنصة والاكسسوارات، وكلها تساعد على تشغيل حواس المشاهد واشباعها وتنبيهها ، وبذلك نكون قد نقلناه من مرحلة السرد القصصي الى مرحلة عصرية من مراحل اللعبة المسرحية المتكاملة .

لقد بنيت مسرحية "عنتر في الساحة خيال" لمسرح الحكواتي لتشكل تجربة نموذجية لمثال الحكواتي العصري او المعصرن ، لما حواه هذا العمل من تداخل عناصره المسرحية وغزارتها وكثافتها من خلال شخصية الحكواتي الفرد قبل انتقاله الى مرحلة الظهور الجماعي او قبل زيادة عدد المشتركين في اللعبة المسرحية الى اكثر من ممثل واحد ما تجلت فيه معظم اعمال مسرح الحكواتي الاخرى .

الا ان شكل الحكواتي القديم لم يكن ليشكل اساسا ورصيدا كافيا للاحتذاء به كتقليد مسرحي متطور مستمر فقد انقطعت اخبار هذا الفن عن جمهوره مدة طويلة مما يجعل عمر

Digitized by Birzeit University Library

التجارب التي حاولت ايجاد شكل وتقليد مسرحي لا يزيد على مئة سنة خلت .

ومن هنا نبعت الحاجة للجوء الى عنصر التجريب والاكتشاف والبحث من جديد عن شخصية مميزة وخاصة للمسرح الفلسطيني بشكل خاص والعربي بشكل عام ان صح قول ذلك، واتضح ان التجريبية هي مجال واسع جدا وان استعمال التراث لا يمكن ان يكون هدفا للنسخ والتقليد كما هو الحال في اشكال الفولكلور المقولبة ، بل كان من الضروري البحث عن وجه الضرورة في ذلك التراث والاستيحاء من روحه وايقاعه ، وصبها في قالب عصري والباسها لباسا يليق بايقاع حياتنا العصرية ، مدعوما بمواضيع ذات صلة حميمة بوجدان الانسان الحديث ، يربط فيما بينها استمراريتها الحضارية منذ القدم وحتى يومنا هذا ، مع الاخذ بالحسبان ضرورة اثارة التساؤلات الاساسية حول اهم القضايا التي تشغل بالنا وتحاول ان تعيد التوازن المفقود بين الانسان وبيئته . اننا ننبه الى حقيقة وجودنا في واقع شاذ وخطير ونضع الاصبع على الجرح النازف فننبشه من جديد .

ان تجربة مسرح الحكواتي في المسرح التجريبي ، ومحاولة خلق مواضيع واشكال فنية من خلال التجارب الحياتية للفنانين المشاركين في العمل بشكل جماعي ، وفي فترة لم تتوفر فيها النصوص والتقاليد المسرحية الكافية ، شكلت كل هذه الاشياء اساسا قويا ورافدا محفزا لمسيرة الحكواتي خلال مسيرته المسرحية منذ تأسيسه ، وزادت من طموحه لايجاد لغة مسرحية مميزه لها الفاظها التي تقترب من الفاظ اللغة الموسيقية التي تستطيع ان تتحدث الى كل العالم لتصبح هي اللغة البديلة للغة "الاسبيرانتو" كلغة مقترحة لان تكون لغة عالمية بين الشعوب للتفاهم فيما بينها . الا ان مضمون تلك اللغة في مسرح الحكواتي اخذت طابع لغة الشيفرة ، اللغة البطيئة ، بين الفرق وجمهورها لان لغة المضمون المباشر في ظل احتلال سيكون مصيرها الهلاك والقمع .

لقد حتمت التجارب الحياتية على العاملين في مسرح الحكواتي انتقاء اعمالهم القريبة الى واقعهم وشخصيتهم وحياتهم ، وبما انهم جزء من تجربة شعبهم الفلسطينية الذي يرزح تحت نير الاحتلال ، وجزء من العالم العربي فان اي تجربة من تجاربهم الحياتية ، مهما كان موضوعها اجتماعيا او اقتصاديا فانها لا بد ان يكون لها علاقة مباشرة بذلك النير المؤثر على المجتمع واقتصاده ، وبالتالي لا يمكنها الا ان تكون تجربة سياسية، بالرغم من رفضها للتبعية الفئوية ، ايمانا منها بان يبقى فنها واسعا غير مقيد بمحلية القبلية الفكرية . وفي النهاية لا بد لها ان تتخذ شكلا له علاقة وطيدة بالجذور الحضارية التي يتشبث بها الانسان خوفا على كيانه المهدد بالخطر .

الترميم المسرحي والبيت الجديد
تجربة عشر سنوات من المسرح تحت الاحتلال
وولادة محفوفة بالمخاطر والمراهنات الصعبة

ليس سهلا خلق حركة مسرحية تساهم في التوعية والنضال الوطني تحت "قيود الاحتلال" ولذلك فان محاولات المسرحيين الفلسطينيين لخلق مسرح ملتزم ، وربما محترف ، اخذت طابعا من الهبات الحماسية التي كان يتبعها الركود ومن ثم الحماس من جديد .

لقد ساهمت المصاعب المادية ومتطلبات العمل الجماعي في المسرح في خلق هذا الجو من التقطع المسرحي وكان لا بد من اتخاذ خطوة جريئة متطورة لايجاد اساس قوي للنهوض بالحركة المسرحية من جديد .

بعد فترة الركود المسرحي التي تلت الهبة

Digitized by Birzeit University Library

المسرحية في السعبينات في الارض المحتلة ، ولدت فرقة الحكواتي (سنة ١٩٧٧) واستطاعت ان تقطع شوطا طويلا بدون توقف ، تكاد تتميز باستمراريتها هذه عن باقي الفرق المسرحية الفلسطينية الاخرى ، حيث اعتمدت اسلوب التجوال المستمر في ارجاء فلسطين واوروبا ، وحظيت مسرحياتها بعدد كبير من العروض ، فوصلت عروض مسرحية "محجوب محجوب" على ما يربو على ١٢٠ عرضا ، ما يعتبر رقما قياسيا في عروض المسرح الفلسطيني في ظروفنا الشاذة ، بالاضافة الى ان الفرقة استطاعت ان تتغلب على احدى اهم المصاعب الرئيسية ، الا وهي انها تمكنت من ايجاد مواضيعها ونصوصها من ذاتها وبطريقة الابداع الجماعي والارتجال مما ساعدها على طرح مواضيع من صميم واقعنا تحت الاحتلال واستغلال قوة عناصر المسرح المختلفة دون الاعتماد على قوة الكلمة فقط ، وفي الفترة التي كانت الحركة المسرحية تعاني من مشكلة نقصان النصوص الهادفة فقد استطاعت الحكواتي ان تتغلب على هذه النقطة وان تنتج مسرحياتها الجماعية كمسرحية "بسم الاب والام والابن" و "محجوب محجوب" و "الف ليلة من ليالي رامي الحجارة" و"جليلي يا علي" و"تغريب العبيد" وغيرها ...

ان اسلوب العمل الجماعي ساعد كثيرا على تخطي مرحلة مهمة كانت تشكل ازمة رئيسية في المسرح الفلسطيني استطاعت الفرقة خلالها ان تصهر التجارب الحياتية للممثلين والمشتركين في العمل الجماعي وصبها في خزان واحد ، فيه انصهر الشكل بالمضمون واصبحت للمسرح لغته الخاصة القائمة بحد ذاتها ومن خلاله حاولت الفرقة البحث عن ايقاع مسرحي خاص بها مستقيه اياه من حضارتنا العربية الفلسطينية الفقيرة نوعا ما الى رصيد الفن المسرحي والتقاليد المسرحية .

كان على الفرقة ان تعيش حياة التشرد بلا مقر يأويها او على الاقل يحتضنها في فترة البروفات ريثما تجهز المسرحية وتخرج الى النور والتجوال . وبالطبع لم يستطع اعضاء الفرقة التوجه الى التفرغ التام بل كان عليهم الارتباط باعمال يومية اخرى تضمن لهم لقمة عيشهم ريثما يحين الوقت للتفرغ الكلي للمسرح .

بقيت فكرة التفرغ التام للمسرح تدغدغ وجدان اعضاء الفرقة ، وبقيت مسألة ايجاد مقر لهم حلما يراودهم . واخيرا وبعد عناء التجوال والسفر والتشرد الذي دام قرابة السبع سنوات وجدت الفرقة ضالتها باحدى دور السينما المهجورة والمحروقة في القدس المحتلة ، استطاعت الفرقة بعد عقد اتفاقية ايجار مع صاحبها ان ترممها وتحولها في فترة ستة اشهر من العمل المستمر ليلا نهارا وبمساعدة المتطوعين من لجان عمل تطوعية ومهندسين واصدقاء وفنانين ، وان تفتتح اول بيت مسرحي فلسطيني مجهز باضاءة وتكنيك حديثين ، ولتشكل بيتا فنيا يحتضن النشاطات المسرحية والفنية الفلسطينية المختلفة ، ويساهم في مسيرة تأصيل الهوية الفلسطينية وتعميق جذورها .

وفي التاسع من ايار سنة ١٩٨٤ افتتح اول بيت مسرحي فلسطيني في القدس المحتلة تولت فرقة الحكواتي ادارة شؤونه لمدة سنة كاملة اوكلته فيما بعد الى مجلس امناء مكون من ٢٥ عضوا بما فيهم اعضاء الفرقة الذين اعتبروا اعضاء مؤسسين ، وهذا المجلس يحدد التوجه العام للمسرح وسبل دعمه للحركة المسرحية والفنية الفلسطينية والبحث عن مصادر مادية تدعمه وتوقفه على اساس متين ، واعتبرت فرقة الحكواتي الجسم المؤسس له ، فرقة المركز الثقافي الجديد بحيث يسمح لها استعمال قاعاته لعروضها وبروفاتها .

حتى الان قطع هذا المسرح شوطا طويلا من النشاطات فقد فتح المجال امام جميع الفرق المسرحية والفنية بتقديم برامجها واقيمت

Digitized by Birzeit University Library

العديد من معارض الرسم والندوات وافتتح قسم خاص لتعليم الموسيقى الشرقية ، ونظرة احصائية سريعة على ما احتضنته جدران هذا المولود الجديد منذ افتتاحه فاننا نجد ان ٦٠ عملا مسرحيا عرض على خشبته عشرة منها كانت من انتاج مسرح الحكواتي ، ٦٠ عرضا غنائيا وموسيقيا ، ١٥ معرضا تشكيليا ، ٤٠ ندوة ومحاضرة وامسية ، ٤٥ فيلما ، ٦٥ احتفالا عاما ، ١٥ دورة . وفي خضم هذا الزخم الانتاجي الضخم فقد تحولت فرقة الحكواتي الى فرقة فنية منتجة واتجه اعضاؤها لصب طاقاتهم في المزيد من الانتاج والابداع حيث عرضت الفرقة مجتمعة او كل عضو من اعضائها على انفراد اعمالا كثيرة كان قسم منها من انتاج المسرح الجديد واخرى من اعمالها السابقة فعرضت في فترة الافتتاح مسرحيتها "الف ليلة وليلة من ليالي رامي الحجارة" و"جليلي يا علي" و"قصة العين والسن" ، وكان اول انتاج قام به المسرح الجديد عملا مسرحيا حمل عنوان "شرشوح" وهي مسرحية الفتها وقمت بالتمثيل فيها مع مجموعة من الاطفال ، والتي شاهدها اكثر من سبعة الاف مشاهد ، ومسرحية "حكايات الصلاة الاخرى" وهي حكايات مسرحية للمسرحي الايطالي داريو فو اخرجها عضو الحكواتي فرانسوا ابو سالم ومثلها يوسف ابو وردة ، ومسرحية " عنتر في الساحة خيال" وهي سيرة شعرية غنائية من تأليفي وتمثيلي ، ووضع الحانها وموسيقاها الفنان مصطفى الكرد المسؤول حاليا عن قسم الموسيقى في المسرح ، وضبط حركتها كل من فاتح عزام وفرانسوا ابو سالم ، وصممت ازياءها عضو الحكواتي جاكي لوبيك وساهم الفنانان سليمان منصور وعدنان الزبيدي في ديكوراتها ولوحتها الخلفية ، ثم مسرحية تغريب العبيد وهي تاليف جماعي للفرقة وضع فكرتها الاولية عضو الحكواتي ابراهيم خلايلة واخرجتها واشتركت في صياغة نصها النهائي ، ومسرحية "الاستثناء والقاعدة" وهي من تأليف المسرحي العالمي بيرتولد بريخت واخرجها فرانسوا ابو سالم ومثل فيها من اعضاء الحكواتي كل من ادوار معلم وجاكي لوبيك .

وهكذا فان افتتاح المسرح الجديد في القدس فتح المجال امام اعضاء الفرقة لمضاعفة وانتاج المزيد من الاعمال ، وربما كانت الحاجة الملحة لاعضاء الفرقة بالتعبير عن طموحاتهم الفنية سببا في لجوئهم الى انتقاء نصوص جاهزة ، وليس بالضرورة اتباع اسلوب التأليف الجماعي الذي يتطلب اشتراك اعضاء الفرقة مجتمعين في نفس العمل ، ما حدث في مسرحية "شرشوح" و "عنتر في الساحة خيال" و "الاستثناء والقاعدة" و"حكايات الصلاة الاخرى" و"اليوبيل" والمسرحيتان الجديدتان "كفر شما" و"يوبا" .

ان قضية التفرغ الكلي للمسرح اصبحت قريبة المنال ولكنها مغامرة محفوفة بالمخاطر ، فهذا الصرح الحضاري سيبقى تجربة بحاجة الى الرعاية وبقاؤه مرهون بامرين : الاحتلال اولا والناحية المادية ثانيا . لقد اقدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلية على اغلاق مسرح الحكواتي ١٤ مرة حتى الان بحجة ان فئات سياسية غير مرغوب فيها او انها منتمية الى تنظيمات معادية لاسرائيل عرضت في المسرح ، ناهيك عن مداهمات الشرطة والجيش وجهاز المخابرات للمسرح وتعطيل بروفات الفرقة واعمال المسرح بشكل عام ، ودعوة اعضاء الحكواتي للتحقيق معهم ، وقد تعرض بعضهم للضرب المبرح خلال التحقيق ، وكانت اخر المداهمات للمسرح خلال شهر اذار من هذه السنة خلال حفل افتتاح احد معارض رسومات اتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين ، وقد ارغمت سلطات الاحتلال ادارة المسرح بانزال بعض اللوحات من المعرض واعتبرتها تحريضية ومباشرة . كذلك فان فرقة الحكواتي تنتظر الرد على طلب توسعة [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

مسرحياتها في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ ثلاث سنوات ولم تحصل الفرقة على اي موافقة لاي من مسرحياتها بعد مسرحيتيها " بسم الاب والام والابن" و "محجوب محجوب" ، مما يضطر المسرح نقل جمهوره الى القدس التي تعتبر منطقة خاضعة للقانون المدني وليس العسكري الذي تخضع له الضفة الغربية وقطاع غزة .

لقد دأبت الحكواتي على اسلوب التجوال والذهاب الى جمهورها في القرى والمدن والمخيمات الفلسطينية بالاضافة الى جولاتها العشر الى اوروبا واشتراكها في المهرجانات العالمية . اليوم اصبح بالامكان عمل عروض في مقر المسرح في القدس ، ويلاحظ بشكل واضح التغير في النظرة الى الفن المسرحي والفن بشكل عام كأحد الحاجيات الضرورية ، واصبح بامكان الجمهور ان ينظر في البرنامج الشهري للمسرح وان ينتقي العمل الذي يرغبه لنفسه ، وقد اتاحت ادارة المسرح المجال امام جميع الفرق المسرحية بتقديم عروضها بحرية واظهارها في برامج المسرح الاعلامية ، وذلك بدافع تشجيع الحركة الفنية الفلسطينية وترك المجال امام الجمهور لانتقاء الاعمال وحرية التمييز بينها. وتظهر في الافق بوادر لنقاد فنيين ،وتحديات فنية بين الفرق حيث ازدادت الاعمال الفنية لفرق فلسطينية عديدة اخرى مثل : فرقة سنابل ، والمسرح الفلسطيني ، وصندوق العجب ، وفرقة الجوال المقدسية وفرقة الورشة الفنية ، وفرقة الامل من غزة ، ومسرح العبير ، وزهرة المدائن وفرقة الورشةالفنية ومسرح الرحالة، ناهيك على ان المسرح استقطب اعمالا فلسطينية من داخل حدود ال ٦٧ ، كالمسرح الجوال السخنيني ، والمسرح البلدي الناصري ، وفرقة يعاد من الرامة ، وفرقة الرقص الشعبي الحديث من الناصرة ، وفرقا فنية اخرى قدمت عروضا متواصلة مثل فرقة سنابل بيرزيت الفولكلورية ، وفرقة الفنون الشعبية من رام الله ، وفرقة شرف الطيبي وغيرها من الفرق الموسيقية الاخرى .

ان جو التحدي الفني بين الفنانين خلق عملية مخاض وصراع ستؤدي في النهاية الى فرز معالم جديدة للثقافة والوعي الفلسطيني ، وستحث الفنانين على البحث عن اساليب خاصة بهم ومواضيع ذات علاقة وثيقة بقضيتهم الام ، وتجعلهم يبحثون عن الاصالة والعمق ويبتعدون تدريجيا عن الرث والزوان .

ولعل الانتفاضة الفلسطينية التي يخوضها الفلسطينيون منذ سبعة اشهر ستتمخض عن تجارب جديدة في الحياة الفلسطينية وستدفع نحو ابداعات انسانية جديدة ووعي عصري لواقعنا .

نحن والاسرائيليون

ان مجرد تجمع الفلسطينيين في مكان واحد لمشاهدة عروض ما مهما كان شكل ذلك العرض ، ابتداء من العروض الفولكلورية وانتهاء بالحفلات والمهرجانات السياسية ، كان يشكل قلقا كبيرا للسلطات الاسرائيلية ، فالتجمع معناه الوحدة والتعلم والمعرفة ، وهو ما لا ترغبه السلطات الاسرائيلية للفلسطينيين ، فالوحدة والتعلم والمعرفة ستقود الى بلورة كيان وشخصية مستقلة مما تعتبره السلطة الاسرائيلية تحديا لها وخرقا لنظامها وتهديدا لكيانها واحتلالها .

الاحداث التي واكبت افتتاح مسرح الحكواتي جعلت الاسرائيليون يهتمون بتطورنا وشكلنا الفني الذي نعرضه ، وبمواضيعنا التي كانوا هم ايضا جزء منها ، فالاعلام الاسرائيلي بمختلف اهتمامه بنا ، اما بدافع حب الاستطلاع او المعارضة او التضامن ، كانوا جميعهم معنيين

Digitized by Birzeit University Library

بابراز دورهم في مجتمعهم من خلال حكمهم على تحركاتنا ، وكنا كالميزان بين "ديمقراطيتهم" وتعسفهم ، ومنهم من كان يقول :

"دعوهم يعملون فنا ، على الاقل جاءنا الفلسطينيون هذه المرة مع كلمة وثقافة وليس مع قنابل" دعوهم يقذفوننا بالكلام ، وربما يكون ذلك اسهل من القنابل" . وكون مقرنا في القدس المحتلة التي اعلنت اسرائيل عنها مدينةواحدة موحدة ، فقد نظرت اغلبيتهم الينا وكأننا ملكهم الخاص ، كما يعتبرون فلسطيني ال ٤٨ الذين يعيشون داخل حدود اسرائيل الاولى ، ويقولون عنهم "ممعرافيم شيلانو" اي عربنا ، خلافا لسائر الفلطسينيين تحت الحكم الاسرائيلي العسكري والذين يعتبرهم الاسرائيليون ضمنا انهم ملكهم ايضا ولكن بدون ان يصرحوا عن ذلك علنا امام العالم ، واعتبروا منطقتهم منطقة عسكرية لهم حرية التصرف بها كما يشاؤون ، وهو وضع شبيه جدا بالحكم العسكري الذي فرضته اسرائيل على المناطق التي احتلتها منذ اعلانها عن استقلالها سنة ١٩٤٨ ، والذي استمر حتى سنة ١٩٦٤ . منهم من كانوا يزورونا بلباسهم الصحفي وسرعان ما كنا نكتشف انهم من رجال المخابرات ، وكان هدفهم تجميع المعلومات عن نشاطاتنا ، علما بان نشاطاتنا معلن عنها باللغتين العربية والانجليزية ، ومكشوفة للملأ ولا اسرار فيها لان ما نريد التعبير عنه من تجارب حياتية وفنية جلي كالشمس ولا يمكن اخفاؤه ، وهو امر انساني نطمح الى ايصاله الى كل العالم ، وليس من صالحنا اخفاؤه عن احد ، فهذا النوع من الفن هدفه العرض على الناس ، وليس اخفاؤه عنهم .

ان طرحنا لقضايانا بشكل انساني خال من الشعارات المباشرة والمقولبة جعل الاسرائيليون يرتكبون احيانا امام ما نقدمه ، بل غالبا ما كانوا يكتشفون اننا صورناهم في اعمالنا الفنية بطريقة واضحة اكثر من تصويرهم هم لانفسهم او افضل من تصويرهم لنا في فنهم ، لاننا نعيش بينهم ، ونتحدث اليهم بلغتهم احيانا ، نفهمهم ونفهم انفسنا . هذا الامر يجعلهم يستغربون احيانا واحيانا اخرى يزيدون من شغفهم لمحاسبتنا والتيقظ لما نقدم من فن ، وحتى الغيرة مما نقدم ، وقد عبر احد الاسرائيليين عن ذلك في احدى المجلات الاسرائيلية الرئيسية قائلا :" لقد اظهرنا الحكواتي (اظهر الاسرائيليين) في عرضه في تل - ابيب من وجهة نظر الشعب المظلوم ، بمهارة وموهبة مسرح حيوي .. تكمن قوة هذه الفرقة باللوحات التي تتعدى الكلمات . الديكور الملابس والكاريوغرافي تشكل مهرجانا بحد ذاتها . ومن خلال كل مزج تلحظ معنى ما ، انها اللغة السرية التي يستعملها مسرح الخلايا السرية التي تطورت من خلال سطر النص المقدم للرقابة ..".

" اننا نشاهد نماذج وشخصيات الشارع الاسرائيلي كما يراها الفلسطينيون ، الذين تعلموا كيف يتعرفون على الاسرائيليين خلال ست عشرة سنة من الاحتلال ، بالرغم من انهم يقدموننا بشكل هزلي وتهكمي ، الا ان هذه الشخصيات الممثلة تدل على قوة ملاحظتهم وتعمقهم المتطورين ، ولذلك يدل على انهم استطاعوا ان يفهمونا بقدر اكبر بكثير من فهمنا او محاولة فهمنا لهم ..." كوتيرت راشيت ٦ تموز ١٩٨٣ .

واما صحيفة "يديعوت احرونوت" الصحيفة الاسرائيلية الاولى فقد ذكرت في عدد ١٥ تموز ٨٣ : " للفلسطينيين مسرح وطني" . فرقة الحكواتي من القدس الشرقية ، فرقة جيدة جدا وتنتج مسرحا جميلا يمكنه ان يتحدى اي فرقة جديدة من باريس لندن ونيويورك . انها فرقة محترفة ، لم نشهد مثيلا لها على اي منصة مسرح اسرائيلية . كل عضو في الحكواتي واقص

Digitized by Birzeit University Library

، مغني ، ممثل ، وايمائي ولدى المخرج خيال ومقدره تثير الغيرة" .

ولكن نفس الصحيفة تعور لتعبر عن تخوفها من صراحة الحكواتي قائلة في عدد ١٧ اب ١٩٨٤ : "الحكواتي شوكة في جسد السلطات الاسرائيلية في الضفة الغربية .. هدفهم هو الازعاج ، الاغضاب ، واثارة الاسئلة " .

جهاز الرقابة

كي نستطيع عرض اعمالنا المسرحية في بلادنا ، علينا ان نمر اربعة انواع من الرقابة، الرقابة العسكرية ، ونائب الرقابة العسكرية ، ولجنة المراقبة على الافلام والمسرح التابعة لوزارة الداخلية ولجنة الرقابة التابعة لوزارة المعارف والثقافة . ويخضع للرقابتين العسكريتين كل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، واما النوع الثالث والرابع منها فانه يخضع لسلطة القانون الاسرائيلي المدني ، ويخضع لهما القدس المحتلة وحدود ما قبل ١٩٦٧ .

وقد كان نصيب فرقة الحكواتي كنصيب باقي الفرق المسرحية الفلسطينية من هذه التشكيله المختلفة من الرقابات ، بداية باولى اعمالها "مسرحية بسم الاب والام والابن" عندما طلبت سلطات الحكم العسكري من الفرقة التوقف عن عرض المسرحية الى حين حصول الفرقة على تصريح خاص للعرض من الحاكم العسكري ، مما اضطر الفرقة تقديم نصها للرقابة العسكرية وبعد جهد جهيد حصلت على اذن شفهي لمتابعة عروضها .

ولم يستطع الحكواتي الحصول على تصاريح اضافية لمسرحياتها بعد مسرحيتيه "محجوب محجوب" و"جليلي يا علي" لعرضها في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومنذ اربع سنوات لم تتلق الفرقة اية رد على مسرحياتها الجديدة لا بالنفي والا بالايجاب ، وحتى لو تسلمت الفرقة ردا على احدى مسرحياتها فان الرد سيكون متأخرا لتحضير متطلبات المسرحيات القديمة من جديد واعداد طواقمها مرة اخرى . وهكذا فقد حرمت الفرقة من الوصول الى اكبر كثافة من الشعب الفلسطيني ، اللهم الا لبعض العروض التي استطاعت الفرقة ان تنفذها عبر الجامعات والمؤسسات الخاصة ، والتي اعتبرت نشاطا داخليا خاصا لتلك المؤسسات وليس للجمهور العام ، وبعض العروض الاخرى التي استطاعت الفرقة ان تجند لها جمهورا من الضفة الغربية وقطاع غزة واحضارهم الى القدس لمشاهدة العروض حيث يسمح للفرقة تأدية عروضها بعد حصولها على تصريح من لجنة المراقبة على الافلام والمسرح . ولكن حرمان الفرقة من العرض امام اكثرية شعبها اضطرها اللجوء الى التجوال في الجليل والمثلث وخارج البلاد لتسويق عروضها ونقل رسالتها .

بالرغم من حصول الفرقة على اذن بالعرض في الجليل والمثلث (داخل اسرائيل) فان الامر ليس بسيطا للغاية ، وما حدث لمسرحية "محجوب محجوب" مثال جيد لذلك ، فقد ووفق على عرض المسرحية رسميا ، الا ان السلطات الاسرائيلية اوقفت عرض المسرحية قبل بدايته في مدينة الناصرة ، مدعية ان الفرقة خرجت عز النص في عروضها السابقة .

واما ما يخص الرقابة العسكرية فالامر اسوأ بكثير ، فالرقابة العسكرية اصبحت تشترط اما مشاهدة المسرحية مسجلة على شريط فيديو ، او مشاهدة عرض خاص للمسرحية قبل عرضها، ونفس الامر ينطبق على الرقابة التابعة لوزارة المعارف والثقافة ، بالرغم من تبعيتها للحكم المدني .

ان جهاز المراقبة على الافلام والمسرح يشكل السلطة العليا التي لم تستطع حتى المحكمة العليا معارضة قراراته ، مما يجعله لا يختلف كثيرا عن جهاز الرقابة العسكرية في الضفة

Digitized by Birzeit University Library

الغربية وقطاع غزة ، بفارق بسيط ان الفرق المسرحية الفلسطينية استطاعت ان تحافظ على بقائها، وبضمنها الحكواتي ، من خلال بعض العروض التي يسمح بها في القدس المحتلة وداخل اسرائيل .

واما المسرحيات التي سمح للحكواتي عرضها من قبل الرقابة العسكرية فقد كان على الفرقة ان تقدم التصريح العام للحاكم المحلي لكل منطقة تعرض فيها ، ولحاكم تلك المنطقة حرية الرفض اذا وجد ان الامر يتطلب ذلك ، ما حاوله حاكم منطقة جنين وحاكم منطقة مخيم الدهيشة عند عروض مسرحية "محجوب محجوب" .

كذلك ، فقد كان امر العرض شبه مستحيل عندما كانت الفرقة تود العرض لجمهور طلاب المدارس او استعمال قاعات المدارس وساحاتها للعرض حيث كان الامر يتطلب عرض المسرحية امام لجنة خاصة من وزارة المعارف والثقافة ونادرا ما حصلت الفرقة على موافقة على ذلك ، ورفضها اعطاء الساحات والقاعات للفرقة بحجة انها املاك خاصة للمدرسة ولا تستعمل لمثل هذه الاغراض .

"تبدأ المغامرة سنة ١٩٧٧ ، عندما اسس فريق من الممثلين فرقة الحكواتي . سوف يقودون لست سنوات قادمة مسيرة محفوفة بالمخاطر ، والنهوض باعباء فرقتهم المتجولة . انهم يعرضون قليلا في الضفة الغربية في كل مكان : في المدارس ، في القرى والمدن وفي مخيمات اللاجئين . الصحافة الاسرائيلية توليهم اهتماما خاصا . بعيدا عن فلسطين كونوا لانفسهم اسما لامعا ومحببا لدى الجمهور الواسع في المهرجانات الاوروبية . وبعد مدة طويلة ومضنية من الترحال والتشرد بحثوا لهم عن مكان يبنون لهم فيه بيتا ، وحقا وجدوا ضالتهم بين جدران سينما قديمة محروقة في القدس الشرقية . في تشرين الاول السابق تنتقل الفرقة الى القاعة المهجورة، ولكنها في موقع مناسب جدا في قلب المدينة العربية .

ستة اشهر لخلق مجال ثقافي : لقد كان من المفروض مواجهة كل التحديات التي وقفت حائلا دون اتمام المشروع ، ولكن التحدي كان في النهاية ايجابيا ورابحا . بمساعدة الجيران استطاعت الفرقة ان تحول نفسها الى مهنيين وعمال ، وان يحولوا الموقع القذر الى مركز فني فيه ٤٠٠ معقد وكاف للاستعمال لمختلف النشاطات الثقافية .

يضم الحكواتية اليهم حوالي ١٥ عضوا ، منهم ستة من الاعضاء الدائمين وهم الاعضاء المؤسسون للمسرح ، قادمون من افاق وبيئات مختلفة .

لقد لعبت فرقة الحكواتي دور الوسيط بين الميراث الادبي العربي وتقنية المسرح المعاصر ، مطورة لنفسها اسلوب العرض المرئي ذا الجاذبية الشاعرية القوية .

ان المطبات التي تعترض هذه المغامرة تنبع من الدليل المنبه الى حقيقة ان العالم العربي لا يمتلك تقليدا مسرحيا . قبل كل عمل مسرحي ، على الحكواتي ان يأخذ هذه الثغرة الثقافية بعين الاعتبار ، ولكن هل لمثل هذه الفرقة الفلسطينية مصدر اكثر اثارة تستوحي اعمالها منذ اكثر من السحر الصاخب لقصة "الف ليلة وليلة" برغم الميراث الثقافي الشرقي .. البساط الطائرة والجنيات الشريرات تستعمل كلها لخدمة مسرح سياسي متفوق وبارز ، يعبر عن شكل من اشكال المقاومة المزوجة بالاستعارة والمجاز والهزل والاهجوزة .

للحكواتي سببان ضروريان لبقائه ، ليكون شاهدا صادقا لواقع الحياة اليومية في الاراضي التي احتلتها اسرائيل والسماح للفلسطينيين بصياغة هويتهم الثقافية . باختصار ، التعبير عن المرارة بواسطة محاربة الاحتواء

Digitized by Birzeit University Library

والانضوائية .

هذا المسرح المناضل ، عدو للفئوية . يحرض من اجل رد الفعل والتساؤل اكثر من الميل للعنف الاعمى . الشعارات والشتائم محرمة هنا ..." عن جريدة لوموند الباريسية ٢٧ ايار ١٩٨٤ .

الاعضاء المؤسسون : فرانسوا ابو سالم ، ادوار معلم ، جاكي لوبيك ، عدنان طرابشه ، طلال حماد ومحمد محاميد .

الاعضاء المركزيون الان : فرانسوا ابو سالم ، راضي شحادة ، ابراهيم خلايله ، ادوار معلم وجاكي لوبيك .

١) ابراهيم خلايله :

مواليد مجد الكروم عام ١٩٥٨ ، يحمل بكالوريوس خدمة اجتماعية وماجستير في علم الجريمة ، بدأ حياته الفنية اواخر عام ١٩٧٩ بانضمامه للحكواتي ، شارك في جميع الاعمال المسرحية للحكواتي . يكتب المسرحية منها "العصافير" التي تتدرب عليها فرقة الحكواتي هذه الايام .

٢) راضي د. شحادة:

حاصل على بكالوريوس في المسرح والادب العربي ، بدأ حياته الفنية سنة ١٩٧٤ ، اسس مسرح البلد في الجليل ، وقدم خلاله مسرحية "البيت القديم" لمحمود دياب ، ومسرحيتي "ابو خربوش" و"السلام المفقود" وهما من تأليف راضي . مسرحية السلام المفقود : ممنوع عرضها بامر من محكمة العدل العليا الاسرائيلية ، ومجلس الرقابة على الافلام والمسرح . اخرج مسرحية "سندريلا" للاطفال (مسرحية عرائس) ومن خلال عمله كمدرس (٧٤ - ٧٩) الف مسرحيات مدرسية فكاهيه ساخرة منها : مسرحية "سقف المكسور " و"مسرحية انا استاذ" . مثل واخرج والف مسرحية "شرشوح" والتي اشترك معه فيها اطفال وعرضت للجمهور العام في مسرح النزهة / الحكواتي لاكثر من سبعةالاف متفرج . الف واخرج مسرحية "عنتر في الساحة خيال" ، المسرحيتان "شرشوح" و "عنتر في الساحة خيال " من انتاج مسرح الحكواتي . هو احد اعضاء فرقة الحكواتي الفلسطينية واشترك في اعمالها الجماعية : محجوب محجوب ، الف ليلة وليلة في سوق اللحامين ، جليلي يا علي ، ومسرحية قصة العين والسن ، واخرج للفرقة اخر اعمالها الجماعية : مسرحية تغريب العبيد ، وهو احد الاعضاء المؤسسين لمسرح النزهة / الحكواتي ...

٣) فرانسوا ابو سالم :

درس المسرح وعلم النفس في فرنسا ولبنان شارك في تأسيس عدة فرق مسرحية منها "بلالين " و"صندوق العجب" و "بلا -لين" اضافة للحكواتي ، عدا عن اعمال فرقة الحكواتي شارك في "حكاية الصلاة الاخرى " وحاول الاخراج في المسرح البلدي بحيفا لكنه منع لاسباب سياسية .

٤) جاكي لوبيك :

زوجة فرانسوا ابو سالم شاركت في كل اعمال الفرقة باستثناء "تغريب العبيد" .

٥) ادوار معلم :

مولود في العام ١٩٥٨ في معليا ، بالجليل ، حاصل على بكالوريوس جغرافيا ومسرح ، شارك في كل اعمال الفرقة .

النشاطات المسرحية للحكواتي :

١. مسرحية "بسم الاب والام والابن" قدمت عام ١٩٧٧ تأليف جماعي للفرقة اخراج فرانسوا ابو

Digitized by Birzeit University Library

سالم . تمثيل : ادوار معلم ، طلال حماد ، جاكي لوبيك ، عدنان طرابشه ومحمد محاميد ، اضاءة : ميلاد كيدان . موضوعها : تعالج تسلسل السلطة في المجتمع بدءا من الحاكم وانتهاء باضطهاد المراة والطفل وكل سلطة تحاول ترويض الحلقة الاضعف .

قدمت : ٣٦ عرضا في الاراضي المحتلة والجليل، ايطاليا ، سويسرا ، فرنسا ، مهرجان قرطاج في تونس ، مهرجان ايرلنجن في المانيا الغربية ومهرجان المهرجين في هولندا .

٢. مسرحية "محجوب محجوب" قدمت عام ١٩٨٠ ، وهي تأليف جماعي للفرقة واخراج فرانسوا ابو سلام . تمثيل : عدنان طرابشة ، ادوار معلم ، واصف دنديس ، ابراهيم خلايله ، محمد محاميد ، داود كتاب ، ماجد الكرد ، وقبل سفر الفرقة للخارج انسحب واصف دنديس واستبدل براضي شحادة . موضوعها : تطرح ماساة انسان فلسطيني وسطي يحاول الحفاظ على بقائه من خلال المراوغة والدهاء . قدمت في ١٤٠ عرضا في الضفة الغربية والجليل ، بريطانيا ، فرنسا ، المانيا الغربية ، الدنمارك ، السويد ، النرويج ، هولندا ، بلجيكا ، بولندا وتونس .

٣. مسرحية"الف ليلة وليلة في سوق اللحامين" عام ١٩٨٢ وهي مسرحية غنائية موسيقية ، تأليف جماعي ، اخراج : فرانسوا ابو سالم ، انتخب بالتعاون مع السيرك السحري في فرنسا . تمثيل : راضي شحادة ، جاكي لوبيك ، ابراهيم خلايله ، ادوار معلم ، عدنان طرابشه ، محمد محاميد ، كريستو خياط ، صقر السلايمة ، داود كتاب ، منيره شحادة ومحمد عوض . تلحين وموسيقى : مصطفى الكرد . عزف : فضل متاع ، عبد السويطي ، ماجد الكرد وصالح طه . موضوعها : مستوحاة من الف ليلة وليلة ، ومطروحة على الواقع السياسي الراهن ، قدمت في حوالي ٣٠ عرضا في القدس ، الجليل ، فرنسا ، المانيا الغربية والدنمارك .

٤. مسرحية " جليلي يا علي" ، سنة ١٩٨٣ ، تأليف جماعي ، اخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل : ادوار معلم ، راضي شحادة ، ابراهيم خلايله ، جاكي لوبيك ، عدنان طرابشه ، ايمان عون ، منيره شحادة ، هيام عباسي ، وامتياز دياب . موضوعها : مستوحاة عن بحث ميداني للدكتور شريف كناعنه وتطرح تناقض الاستاذ الفلسطيني العادي في اسرائيل والصهيونية . قدمت في ٦٥ عرضا في الضفة الغربية ، الجليل ، اسبانيا ، فرنسا ، والمانيا .

٥. "قصة العين والسن" سنة ١٩٨٤ ، تأليف جماعي ، اخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل : راضي شحادة ، ادوار معلم ، ابراهيم خلايله ، جاكي لوبيك ، ايمان عون ، حسام جويلس وعامر خليل . موضوعها : محاولة اقامة عريس في وسط حرب دائرة منذ اربعين سنة بين العرب واسرائيل . قدمت في حوالي ٥٥ عرضا في القدس ، الجليل ، بريطانيا ، فرنسا ، اسكتلندا ، هولندا وبلجيكا .

٦. " بيت زكي" سنة ١٩٨٦ ، تأليف جماعي ، واخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل : ادوار معلم ، ابراهيم خلايله ، راضي شحادة ، جاكي لوبيك ، ايمان عون، عامر خليل ، اسماعيل الدباغ وعبير مخول . موضوعها : مجموعة مسرحيين متجولين يحكون ماساة قرية مشردة . قدمت في ثلاثة عروض بالقدس .

٧. "تغريب العبيد" سنة ١٩٨٦ ، تأليف جماعي ، سيناريو ابراهيم خلايله ، اخراج راضي شحادة . تمثيل : ابراهيم خلايله ، نضال الخطيب ، عبير مخول ، ختام ادلبي ، ناصر مطر ، عبد السلام

Digitized by Birzeit University Library

عبده ، علي الحجاوي وجميل الحوساني موضوعها : اهمية بروز الصراع الطبقي في مرحلة التحرر الوطني . قدمت حوالي ٦٥ عرضا في القدس ، الخليل ، الجليل ، رام الله ، المانيا الغربية وهولندا .

٨. "كفر شما" ١٩٨٧ ، تأليف جاكي لوبيك وفرانسوا ابو سالم وهي تطور من القالب العام "لبيت زكي" . اخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل : ادوار معلم ، عامر خليل ، عماد مزعرو ، اسماعيل الدباغ ، ايمان عون ، جاكي لوبيك ، نبيل الحجار . قدمت ١٥ عرضا في القدس والجليل ، وتعرضت منذ نيسان الماضي في انجلترا ، فرنسا ، المانيا الغربية ، ايطاليا ، هولندا ، الدنمارك ولا تزال في الخارج .

٩. "الاستثناء والقاعدة" سنة ١٩٨٥ ، تأليف بريخت ، اخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل :ادوار معلم ، عامر خليل ، ايمان عون ، جورج ابراهيم ، جاكي لوبيك ، اسماعيل الدباغ ، حسن ذياب وهيام عباس . قدمت حوالي ٣٠ عرضا في القدس والجليل .

١٠. "شرشوح" سنة ١٩٨٥ . تأليف واخراج راضي شحادة . تمثيل : اطفال لجمهور الكبار والممثلون هم الاطفال : طارق ورامي البكري ، ميشيل ومنتصر العسولي ، تيسير دولة، سني الجبشة ، جورج كيدان وكريستيا قنبر . موضوعها : تناسخ الارواح والحث على نبذ الخرافات . قدمت في حوال ٢٥ عرضا وحضرها حوالي سبعة الاف متفرج .

١١. "عنتر في الساحة خيال" تأليف واخراج وتمثيل راضي شحادة . الحان مصطفى الكرد . وهي مسرحية غنائية تسقط شخصية عنتره على الواقع الحالي . قدمت في حوالي ٥٠ عرضا وصورت تلفزيونيا .

١٢. "حكايات الصلاة الاخرى" سنة ١٩٨٦ ، تأليف داريوفو الايطالي . اخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل يوسف ابو وردة .

١٣. "اليوبيل" سنة ١٩٨٧ تأليف تشيخوف . اخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل : ادوار معلم ، عامر خليل ، ايمان عون ، فلنتينا ابو عقصة ، حسام جويلس ، ووسام البرغوثي .

١٤. "يويا" بدأت عروضها في ١٠ حزيران ١٩٨٨ ، بمناسبة يوم الطفل العالمي ، وهي مسرحية عرائس للاطفال تأليف واخراج راضي شحادة ومستوحاة عن قصة للاطفال للدكتور عمر محجوب .

وتتدرب الفرقة حاليا على مسرحية "العصافير " من تأليف ابراهيم خلايله.

١٥. قدمت الفرقة اسكتشات ارتجالية كما قدمت مشاهد من رواية المتشائل ل "البي .بي.سي" ضمت برنامج اعده الدكتور ادوارد سعيد .

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

"عزيز"

د. سبيرو عيسى الطمس

اليوم الثالث ، والصمت مزعج ، نظر الى فتحة الشباك الصغير وأحس بحاجة الى جرعة اخرى من الضوء . تحسس ذقنه وابتسم ، لعلها المرة الاولى منذ سنوات لم يحلق بها ذقنه لثلاثة ايام متتالية .هذه المرة مجبر على ترك ذقنه دون نظرة لوم او لفت نظر منه اي كان. ترى كيف صار شكله ، تذكر انه لمح مرآة فوق المرحاض وتساءل عن سبب وجودها هناك ولم يعثر حينها على جواب مقنع . هل هو وجهه الداكن ، ام هو لون المرآة ، لعلهم تعمدوا وضع مرآة داكنة لتزيد من كآبة النزلاء . خدوش قليلة تحت العين اليسرى ، والشفة العليا لا زالت منفوخة .. "ستضحك بطريقتها المعهودة لو رأت سحنتي .. ولربما قبلتني فوق عيني وهي تقول " " ولا يهمك" ، تمنى لو ان ضحكتها تهز الجدران حوله ، تذكر اول مرة نهرها حين ضحكت بصوت عال ، كان ذلك في احتفال الاول من ايار في حرش القبيبة ، ولام نفسه حين اتهمته بوضع الناس في قوالب جاهزة .. هكذا تعود التعامل مع نفسه ومع الاخرين ، كل شيء مبرمج ومضبوط بشكل مصطنع ، هل هي عقدة نفسية ام اسلوب حياة ؟ هي فرصة لاعادة التفكير في كثير من الامور المسلم بها . دس كفه اليمنى في جيب البنطلون واستمر في تحسس ذقنه وعاد ليتربع في الزاوية نفسها.

دقائق قليلة وفتح الباب الحديدي بعنف وارتمى جسم على الارض امامه ، ثم اغلق الباب بنفس الطريقة ليترك وراءه صدى طويل اشبه بالعويل ، "اولاد الكلب .. " تحامل على نفسه ونهض وهو يئن ثم فوجيء بوجود شخص اخر معه .. " صار لك زمان" وكأنه لم يتوقع ان يتلقى ردا ، فاقترب مادا يده "اسمي عزيز" . تردد لحظة وعدل جلسته قبل ان يمد يده للزائر الجديد مسلما ومعرفا نفسه باسم اخر .

حدثوه كثيرا عن العصافير ، تذكر ما كان يردده محذرا حسب تجربة الاخرين ، "تكلم بحذر ، ولا تثق باحد ، هناك اناس مهنتهم عصافير ، وهم اخطر من المحققين ، وغالبا يلجأون اليهم حين يفشل التعذيب" . هذه المرة كان هو البادىء في الحديث "غير مرحبا وسلام عليكم ما فيش ، انت في حالك وانا في حالي .. والا بكمل عليك" احس بانه تصرف كما يجب وبذلك يكون قد سد الباب في وجه النزيل الجديد . نظر الى فتحة الشباك قرب السقف واخذ جرعة اخرى من الضوء ليجدد شعوره بالثقة بالنفس .

بدون قصد نظر الى الزاوية المقابلة حيث تربع عزيز ، حاول ان يدقق في ملامح وجه المشوه بلكمات المحققين ، وفوجيء حين رآه يبكي بصمت ، "هل يضربون العصافير ايضا لتنطلي الحيلة على باقي النزلاء" لم يقل له احد

Digitized by Birzeit University Library

ذلك وفاته ان يسأل . لعله يصغره بعشر سنين على الاقل ، نحيل ، اميل الى البياض . نظر اليه مرة اخرى وتمتم في سره "لعلها احدى تمثيليات العصافير" ثم ادار له ظهره وهو يفرد جسده فوق البرش مطلقا زفرة تنم عن راحة كاذبة .

حدق للمرة الالف في الكلمات المحفورة على الحائط ، مئات الاسماء والتواريخ ، كلهم مروا بنفس التجربة ، شعارات مختلفة وكلمات من نار " هل انا خائف من عزيز" كان يحاول ان يطرد هذا السؤال دون الاجابه عليه ولم يفلح بل شعر بانه قد بالغ في التعبير عن خوفه من النزيل الجديد . تململ في رقدته وهو يبحث عن الطريقة التي تعاملت بها كل الاسماء المحفورة على الحائط ، محاولا التخلص من الشعور بالذنب وبالغباء امام احتمال براءة عزيز من التهمة التي يلصقها به . كاد يختنق حين تذكر بكاءه الصامت في الزاوية المقابلة واحتقر نفسه حين خطر بباله انه يتساوى والمحققين ولو ان زائره يقف فعلا على حافة الانهيار . "شوف يا عزيز احنا ممكن نكون اصحاب ، بس ما تحكي لي اي شيء ممكن يضرك .."

"ماشي الحال .." قالها ومسح عينيه بظهر كفه وكأنه فهم الرسالة بسهولة ، ثم عدل جلسته وهو لا يزال ضاما يده الى بطنه . حدثه عنه "اولاد الكلب" كيف ضربوه على بطنه رغم ان عملية الزائدة لم يمض عليها سوى شهر ، وكيف زادوا الضرب بعد ان عرفوا .

لم يتصور ان عزيز بهذه البساطة، لا يضع الناس في قوالب جاهزة ولا يحاول تحميل الامور فوق طاقتها ، كان عاملا مساعدا لحداد في احدى ضواحي القدس ، "الله يخليك بس تطلع تقول لهم عزيز بخير ، وسلم لي على الخطيبة وخليها تستنى" ، كانت لحظات من التفاؤل والامل ،وبعدها يعود الى ندب حظه ، "انا مزبوط بحب بلدي ، بس والله ما باشتغل مع حدا .." ويعود ليذكره ان لا حديث في هذه المواضيع ، "تهمتي مولوتوف ، والله بستاهلوا اكثر اولاد الكلب .." هذه المرة لم يحذره من تجاوز الحدود بل ابتسم وهو يأخذ جرعة اخرى من الضوء .

" ترى اين هو عزيز ، هل عاد الى بيته وخطيبته التي هددوه باغتصابها اذا لم يعترف " حاول ان يتذكر انفعال عزيز الطفولي البريء "كل شيء بتحمله ، بس خطيبتي يصيبوها لأ .. بلبس حالي تهمة كذب ولا يصيبوها" عرفوا كيف يوجعونه ، كان يحس بالالم الذي يعصر صديقه الجديد.خمسة جاءوا بعد عزيز ، احس بانهم يعرفون ما يفعلون ، لا مكان للالم والخوف في قلوبهم ، ورغم ان ثلاثة نزلاء شاركوه المكان في نفس الوقت وطردوا الشعور القاتل بالوحدة الا انهم لم يتركوا اثرا كعزيز ."كله كلام فاضي ، البس تهمة واقعد في السجن ليش ، اللي بدهم اياه يعملوه ، مثلي مثل غيري.." ترك ابتسامة عريضة تطبع نفسها على وجهه وهو يفضل ذكرياته مع عزيز ، لن ينسى كيف مزقا زقعة البرش الاسفنجية ورسما المربعات عليها برماد السجائر ليلعبا "الداما" بقطع الخبز وقشرة البرتقال ، وافلتت منه ضحكة حين تذكر المباراة الغنائية بينهما واصرار عزيز على الغناء ليادة الحناوي .

"زورني بس تطلع .." احس بقوة قبضة وهو يسلم مسرعا قبل ان يأخذوه .. "اكيد راح ازورك.." ، ولأول مرة اكتشف بان الشعور بالامل والثقة يمكن التعبير عنهما بالمصافحة .

قبلته ام عزيز ولم توفر جهدا لتشعره بانه ابنها الثاني ، ساعتان في باص الصليب الاحمر ، وساعة امام باب السجن ، والحديث يتواصل بينه وبين والد عزيز وهو يشعل سيجارة من الاخرى ، "بعرف ان عزيز رجال" همست خطيبة عزيز وهي تحاول ان تخفي خجلها وكأنما صرحت بحبها له امام الناس .. "كل شيء سيهون واجمل

Digitized by Birzeit University Library

الايام يوم لم يكن بعد ، ولكنه سيكون" لم يستطع عزيز ان يحفظ اسم ناظم حكمت ، ولكنه لم يخف اعجابه بهذه العبارة وظل يرددها كلما تسرب الضعف الى قلبه . " شد حيلك يا عزيز .."

لم يقل له شيئا اخر وانسحب قليلا للخلف ليترك لهم كل وقت الزيارة وليراقب حركاتهم ويطبع بسمة عزيز في ذاكرته .

Digitized by Birzeit University Library

شعر

لعصفور يبحث عن مكان لساريه

عدنان ضميري
١٩٨٨/٦/٢
معتقل النقب "انصار ٣"

بحث مأمون طويلا عن مكان لسارية العلم فلم يجد غير الشهادة مع الفراشات حول النور .

(١)

طار مأمون الصغير كقبّرة
سلب الرعاة صغارها
فتعلقت تبني على عمود الكهرباء
بعد ان ضاقت عليها المقبرة
رفّت على اصابعه الصغيرة الوان العلم
رف كجنح القبرة
وتخضّبت بدم الجرح الطويل
وتناقل الحسّون يحمل اطراف الخبر
ذهلت صمود وقالت : انمت ما الخبر؟
يا ايها العصفور ، كيف التوحّد بين كنه اللها
في الهواء الطلق والوان العلم؟
وهل اخضرار جناحك البرّي ظلا للعلم
وتقول سقط اليوم يا مأمون
في لون المثلث بالعلم
وتعطر الورد المعطر بالورود
بالدوالي واعتصار الزيت الزلال
يسيل على دولاب المعصرة
وتجمعت كل الحمائم تسجع اللحن الاخير
نشرت "صمود" ثيابها / منديلها القاني
ونادت مثلك يا مأمون تراني والعلم
اواه مأمون الصغير
اواه مأمون المدثر بالعلم
اواه مأمون الكبير بجنحيك الامل
لهفي عليك أخيّ من جبن الطغاه

(٢)

حين قلت اموت في ظل العلم
واعيش في ظل العلم
هي طلعة حمقاء لم تثن العلم
انني على ثقة باغنية الطفولة والخلود
رسمت على شفة الصبّية النادية
لغة التحدي والتحدي رغم انات الرحيل
تلك الرصاصة حبل في جباه الصامدات
بسارية وعرس للعلم
ان الرصاصة قد بكت في ثغر عصفور

Digitized by Birzeit University Library

يظن الموت حلما.. او غفوة قصيرة
في غمرة الحمى.. واهات الالم
اني على ثقة حبيبي ان صوتك قد سرى
في رجة التيار
اقوى من صراخك في الالم
وتظل تبحث يا حبيبي عن فراشات تموت
على نور الفوانيس المكهربة الضياء
وتظل تبحث عن مكان تغرس الالوان
فيه كالوان القزح
وتظل تبحث في العراء
تسفى دماؤك كل اعمدة الاناره ، تورق
الاسلاك اعلاما ، يخضر قرص الشمس
في اغماضة العينين في حلمك
ويبدل الدوري ريشه
وتصير تشبهك السماء

Digitized by Birzeit University Library

شعر

بيـان

* ماجد ابو غوش *

حدثني عن ليلك
القمر
ان الذئاب ترتاد العيون
وتحب الزنابق
وفي هدأة الليل
تناجي أحبتها
وتغني للبيارق!

وأمشي
وتمشي في ركبي الاخطار
وامشي
يميني مطر
وامشي
يساري شجر
وتحت اقدامي
تثور الزلازل
وبين يداي
تموج الزوابع
وامامي بحر الرصاص
ولا مفر من العبور!

لبلاد يكثر العشاق فيها
ينحني ظل الاله
وتنوء الارض
بالمقابر والسجون!

دقات قلبي تنبأني
ان الليلة موعدي
تقاوم الشوارع
تقاوم الجدران
تقاوم النوافذ
تقاوم الابواب
يقاوم الفراش
تقاوم الغزلان
يقاوم الشجر
تقاوم الجداول
تقاوم المطابع
يقاوم الورق
وتعلن الارض
ان الصبح لي !

من قاد الغزالة
الى المطابع
من افشى لها
سر الحروف
من علم الحمائم
نقل (النداءات)
وحمل السيوف!

انا همهمة الريح
في ليل الشتاء

Digitized by Birzeit University Library

فاين تهرب؟
ان غضبت عليك الارض
لن تنقذك حكايات السماء!

أيامي لي
لي زقزقات العصافير
اسرار العذارى
حكايات المساء
القمر الفضي لي
لي النجوم السائرات
شقائق النعمان
ما يخبئه التراب
وما ترويه الصخور
فانا اول الكلام
واول الاشياء انا
وكل شيء يسير
بما اريد
اني ركبت الخيل مجنحة
وشققن جوف الغيم
واطلعت فجري !

ايار ١٩٨٨

Digitized by Birzeit University Library

شعر

ل مريم اقول حبي

يوسف حامد

اطلقني الدخان
واجهت وحدي التصاعد
.. واقرأ لسيفي
وقت الحصار
ما لم تقله القصائد
: احب امرأة فاتها النوم قديما
وعل كتفي
وقت الغروب
استراحت قتيلة
كيف انشر ما اخبيء
وحولي يشتد حقد القبيلة
الثأر ثم الثأر
دمها النار التي بدأت تسابق وجهي
دمها المسافات الملاحقة
ظلي في عز الظهيرة
اطلقني الدخان
رأيت الافق مرآة
وحظي واسع
كأن الله يتبعه
ليولد ابن مريم ثانية
كم كانت مريم تشتاق
لتبعد هذا الطفل
الاتي في الرعب
عن شر القبيلة
كم كانت تدمع للحب بعد الولادة
لكن كيف يجيء الحب لمخبول

صار حراما ما يشتهيه
صار الجسد المحمول امام الناس لعنة
صار الرأس النابض بالشمس
امام مواصلة السير
يميل .. لانحدار
عودي مريم للحب
فالله يسابق حتى يراك الخليقة
الله سيبكي
يا مريم ، من ابكاك
لتعودي ، مريم امرأة تؤمن
بالعشق
الله الله عليك
ما اجمك روحك في الحصار
عودي مريم بمسيح يمسح عنا التفاهة
عودي بمسيح يخرج من صلب اقوى
ليصير العرس
يزينه النخل
ويغني فيه الله
نشوانا بمسيح القوة ..

عودي فدماء الفقراء
يشربها المتخم في شرفة قصره
تزداد التخمة
ويحل النوم..
كما لو ان الليل بلا اخر
عودي مريم

Digitized by Birzeit University Library

فالساحة موت
والخيال الشهم
اوقعه الحقد على الاسلاك
صاح من الاسر
: فلسطين تأتي لقلبي
ستأتي
فلسطين
والويل لقيدي..

اقول ل مريم ما اشتهي
اقول كلاما عن جراحي
وانا انام ليال طويلة

لا املك الا كسرة خبز
وبعضا من نبيذ
خبأته الارض منذ الصلب
.. مالي والنبيذ
لا وقت لدي للشرب
فالجوع،
يوجع القلب
: اقول ل مريم ان الوقت موت
والموت وقت
ولا فرق بين النهاية والبداية
في الصلب
اقول ل مريم حبي

Digitized by Birzeit University Library

شعر

"بيت من الجماجم البشرية"

الدكتورة ديدا ممتاز

ترجمة: الدكتور عبد القادر حسين ياسين

تعتبر الدكتورة ديدا ممتاز، استاذة الادب الانجليزي بجامعة جواهر لال نهرو في دلهي الجديدة بالهند ، واحدة من اشهر شاعرات الهند المعاصرات ، ان لم تكن اشهرهن على الاطلاق . فبالاضافة الى نشاطاتها الثقافية ، تعتبر الدكتورة ممتاز من ابرز الشخصيات الهندية التي كرست جهودها لنصرة قضايا التحرر الوطني في العالم الثالث ، ولها مواقف مشهورة في دعم النضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني من اجل استرداد حقوقه الوطنية المشروعة . والقصيدة التالية مأخوذة من ديوانها الاخير الذي يضم عددا من قصائدها التي يجمعها خيط واحد: الانتصار لقضية الانسان المناضل من اجل حريته وحقه في العيش الكريم - المترجم.

سقف بيتنا من الشعر البشري،
حياتنا كلها قلق وعناء،
وحتى الهواء الذي نستنشقه ميكانيكي

* * * *

الارض ملطخة بدماء الابرياء،
وما نقتات عليه ازمات سياسية مستمرة.
سنموت، عاجلا او اجلا ، في اسرتنا الفارغة.

* * * *

حائط المبكى مصبوغ بالشحوب
لا يذكر بود او وداع
لكنه يروي حكايات حزينة

* * * *

لا طير (يغرد) في حديقتنا،
لا شجر ، لا اوراق ، لا براعم ، لا ازهار،
ولا حشائش مخضرة في المروج

* * * *

سيتهجى الجوع المشروع للوطن
على شواطيء اوطان سعيدة اخرى
تعاستنا وموتنا

* * * *

اتستمد المعرفة من الجهل ؟
كل سعادة تولد من شقاء (الاخرين) تفسد
وكل رخاء قائم على شقاء (الاخرين) يسقم

* * * *

دعنا نتقاسم السعادة السوية ،
تلك المعروفة للاخرين ولنا ،
حتى تشرق الشمس والنجوم فوقنا

* * * *

غدا ستشرق الشمس ،
من ذا الذي يستطيع ان يحجب نور الشمس؟
فمهما طال الليل ، سيبزغ فجر النهار.

Digitized by Birzeit University Library

اهزوجة البندقية

- كارلوس ماريا غوتييرث *

لا تسألوني من اكون
ولا ان كنتم قد عرفتموني:
ستنمو الاحلام التي اردتموها
حتى وان لم أكن.
لم أعد اعيش
لكنني ذاهب الى ما كنت احلم به،
وآخرون لا يزالوا يناضلون
سيساعدون ورود اخرى على الولادة.
باسم كل هذه الاشياء
كلهم سيسمونني.
لا تذكروني بالوجه
الذي كان هو وجهي في الحرب
بينما كان في وطني
ثمة حاجة للحقد.
في السماء التي تصفو
سيعلمون كيف كان جبيني،
قلة هم الذين سمعوني اضحك،
لكن ضحكتي التي تجاهلوها
سيجدونها في صبح اليوم
الذي يهجس في صدورهم.
لا تسألوني عن العمر:
فعمري يساوي مجموع اعمار الجميع
اخترت من بين طرق كثيرة
ان اكون اكبر سنا من عمري
وسنواتي الحقيقية
هي العبارات النارية التي اطلقوها:
اولد في كل مجندل بالرصاص،
وان مات الجسد مني
فعمري الحقيقي هو
عمر الطفل الذي حررته
لا تذهبوا بحثا عن قبري
لأنكم لن تجدوه.
يدي هما اليدان اللتان
تذهبان مع ايد اخرى بلا عسر ولا يسر:
صوتي هو الذي يصرخ
حلمي هو الذي لا يزال سالما.
واعلموا انني اموت فقط
اذا رحتم حضراتكم تتراخون:
لأن الذي يموت مناضلا
يعيش في كل رفيق

١٩٧٠

* ولد كارلوس ماريا غوتييرث في الارغواي ويعيش في منفاه في اسبانيا.

Digitized by Birzeit University Library

اصداء ثقافية

جديد يوسف اليوسف

عن دار الاهالي للطباعة والنشر صدر في دمشق دراسة مطولة في الحروب الصليبية للكاتب الفلسطيني يوسف اليوسف حملت عنوان "حطين" . وتستعرض الدراسة واقع المنطقة العربية في القرنين الحادي والثاني عشر الميلادي.

وفي السياق التاريخي صدر ايضا عن دار النشر ذاتها ، كتاب بعنوان "وثائق فلسطين" للكاتب حسين العودات ، ويحتوي الكتاب على مائتين وثمانين وثيقة مختارة تغطي احداث اعوام ١٨٣٩ وحتى عام ١٩٨٧ في ثلاثة عشر فصلا.

شعب وشهادات

عن جهاز الاعلام والتثقيف المركزي التابع لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني صدر الكتاب المصور "شعب وشهادات" باللغتين العربية والانجليزية ، ويضم مجموعة كبيرة من الصور التي التقطت لضحايا القمع والارهاب في اشهر الانتفاضة الاولى.

الغابر الظاهر

صدر للكاتب المغربي احمد يوزمور مجموعة قصصية حملت عنوان "الغابر الظاهر" مستساق من التراث الشعبي ، وغنية بالدلالات وعديدة الابعاد . ويذكر انه كان قد صدر للكاتب وقبل اربع سنوات رواية بعنوان "النظر في الوجه العزيز".

مختارات قومية

اصدر مركز دراسات الوحدة العربية لتقديم تراث الفكر القومي ومفكريه كتاب "مختارات قومية لمحمد عزه دروزه" ، قام بتحريرها الكاتب ناجي علوش ، ويضم الكتاب قسمين رئيسيين . الاول: نحو رؤية قومية للتاريخ العربي ، ويتكون من اربع فصول ، والثاني في القضايا القومية المعاصرة ويتكون من ثلاث فصول.

طير ابابيل

اهدى الشاعر محمد دسوقي مشكورا مجلة الكاتب ، ملحمته الشعرية المطولة ، بعنوان "طير ابابيل" والتي تمتد ابياتها على مدار ٦١ صفحة من الحجم المتوسط ، والتي صدرت مؤخرا عن دار الفكر الجديد.

ومما جاء في الاهداء:"الى ابناء شعبي الابطال الذين قدموا ارواحهم ودماءهم الزكية من اجل حرية وطنهم".

وحملت الملحمة الشعرية عنوان "ملحمة البطولة والصمود" وتقع في ستة مقاطع ، اضافة الى مقدمة اعدتها دار الفكر الجديد. وتصدر الديوان رسم لطفل يحمل بيسراه علما ، وبيمناه حقيبته المدرسية وحجرا.

والجدير بالذكر ان "طير ابابيل" - الديوان السابع للشاعر محمود دسوقي ، بدءا بديوانه الاول "السجن الكبير" والذي صدر في العام ١٩٥٧.

Digitized by Birzeit University Library

اليسار الفرنسي والمغربي ١٩٠٥-١٩٥٥

ضمن سلسلتها (المعرفة التاريخية) أصدرت «دار توبقال للنشر» كتاب جورج أوفيد الموسوم (اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية ١٩٠٥ - ١٩٥٥) ترجمة محمد الشرغي ومحمد بنيس ومراجعة عبد اللطيف المنوني. والمؤلف الفرنسي، الذي اصدر كتابه هذا عام ١٩٨٤، عمل لوقت مستشاراً اقتصادياً وماليّاً للحكومة المغربية بعد الاستقلال.

وفي مقدمته التي خص بها هذه الطبعة العربية للكتاب يقول المؤلف: «انه لصحيح بادىء ذي بدء ان قسماً من اليسار الفرنسي ذو مسؤوليات بينة في مختلف الحلقات التي آلت بالمغرب الى ان يتخلى عن استقلاله .. لكنه صحيح ايضاً انه ارتفعت عند كل واحدة من حلقات حرب الغزو اصوات ضد مشروع اخضاع الشعب المغربي. ليس فقط صوت جان جوريس - الذي خصص قسطاً كبيراً من الاعوام الاخيرة لحياته للدفاع عن استقلال المغرب وسيادة مولاي حفيظ - بل اصوات مناضلين آخرين عديدين ... عرفوا كيف ينظمون تحريضاً ضد هذا الغزو، ليس في البرلمان والصحافة فحسب، بل بتنظيم مظاهرات سواء في باريس او في الاقليم. إن هذا التحريض لم يفض دون ريب الى حركات جماهيرية لها من القوة ما يكفي لمنع الغزو، لكن عديدون هم المناضلون الذين نزل بهم القمع في هذه الظروف.

وداخل اليسار الفرنسي ايضاً وجد الوطنيون المغاربة، في بداية الثلاثينات، المساندة الضرورية لعملهم، خاصة تلك التي قام بجمعها روبيجان لونكي، ابن حفيد كارل ماركس، الذي قرن وقتذاك معركته كمناضل اشتراكي بمعركة (المغاربة الشباب). نفس الامر في الخمسينات، فان رجالاً ونساء من اليسار، منحدرين من آفاق مختلفة، شيوعيين واشتراكيين، لكن ايضاً ليبراليين ومسيحيين، هم الذين سيعبرون عن معارضتهم للسياسة التسلطية والقمعية المنتهجة من طرف الحماية، ورغبتهم في تحقق المطالب التي صاغها محمد الخامس.

لكن التاريخ ينبئنا بانه غالباً ما منعت عوائق كبيرة كل الاحزاب والمنظمات المشكلة للبسار الفرنسي من ان تفهم وتساند الحركة الوطنية المغربية. ففي المقام الاول، هناك الدوغماتية التي شكلت لأمد طويل حجاباً مُحرفاً، منع فصائل واسعة من اليسار الاشتراكي والنقابي، وخاصة، من اليسار الشيوعي، بعد الحرب العالمية الاولى، ان تقدر الواقع الاقتصادي والاجتماعي المغربي، وكذا طبيعة ودور الحركة الوطنية.

وفي المقام الثاني، يبرز الحذر والتحفظات التي ابداها كثير من المناضلين تجاه الوطنيين المغاربة، ايضاً، وربما بشكل رئيسي، بعوامل ثقافية: فعمومية وولائية اليسار الفرنسي لم تيسرا له دوماً فهم الهوية المغربية، وفهم الدور الذي لعبه الاسلام والاشكال الخاصة للكفاح الوطني واخيراً المشروع الخارق للتعتيم الاعلامي الذي انتهجته

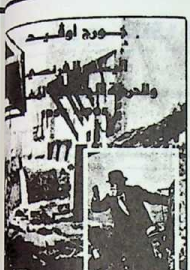

الشرطة .. هو مشروع كان من اثر تقديم الوطنيين المغاربة ومناضلي اليسار الذين يساندونهم بشكل مشين».

بعد مقدمة الطبعة العربية «تمهيد» يوضح فيه الكاتب اهداف ومصادر بحثه الذي «ينبثق مباشرة من اطروحتنا لدكتوراة الدولة التي دافعنا عنها امام جامعة باريس الاولى في ١٩٨٣»، ليباشر بعدها الكتاب فصوله: اليسار الفرنسي والمغرب، السياسة، التحريض الفعالية، ثم خاتمة.

مقالع

قصائد من وحي الانتفاضة

اصدر اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة نشرة لمرة واحدة حملت عنوان: "مقالع - قصائد من وحي الانتفاضة".

وتقع القصائد في ٦٥ صفحة من القطع المتوسط، وتضم مجموعة من القصائد للشعراء اسعد الاسعد، حسين جميل البرغوثي، خليل توما، سميح فرح، علي الجريري، فوزي البكري، ماجد ابو غوش، محمد آل رضوان، محمد شريم، نبيل الجولاني، وسيم الكردي، يوسف حامد، والزجال الشعبي راجح السافدة.

Digitized by Birzeit University Library

أفكار بصوت هادىء

لسعدي يوسف صدر كتاب (افكار بصوت هادىء) عن «مؤسسة الابحاث العربية» ويضم مقالات عالجت قضايا متنوعة تواجه الثقافة العربية بعد حصار بيروت وفقدان الثقافة لنقطة ارتكازها وتجمعها وابداعها.

الكتاب في ستة فصول: ففي العمل الثقافي، قابضون على الجمر، اماكن، محاولات في مذاق النص، عن الشعر واهله، رائحة معتقة ٣٦ ص من الحجم المتوسط.

والشاعر سعدي يوسف من مواليد ابي الخصيب (البصرة) بالعراق. كانت له اقامات على امتداد الوطن العربي: العراق، الكويت، سوريا، لبنان، الجزائر، عدن، وان اتخذ جزيرة قبرص مقاماً الى حين.

صدر له سبع عشرة مجموعة شعرية بين ١٩٥٢ و١٩٨٧ وهي: القرصان، اغنيات ليست للآخرين، النجم والرماد، ٥١ قصيدة، تحت جدارية فائق حسن ـ الاخضر بن يوسف ومشاغله، كيف كتب الأخضر بن يوسف قصيدته الجديدة، الليالي كلها، بعيدا عن السماء الأولى، نهايات الشمال الافريقي، من يعرف الوردة، يوميات الجنوب يوميات الجنون، مريم ثائر، قصائد اقل صمتاً، الينبوع، الاعمال الشعرية، خذ وردة الثلج، خذ القيثوانية.

ونقل نماذج عديدة من الشعر العالمي الى العربية: اوراق العشب، والت ويتمان، وداعاً للاسكندرية التي تفقدها، كافافي، ايماءات، يانيس ريتسوس، الاغاني وما بعدها، لوركا، ديوان الأمير وحكاية فاطمة، اكيلف، شجرة ليمون في القلب، فاسكو بوبا، سماء صافية، أونغاريتي، قصائد ـ فلاديمير هولان.

كما ترجم الى العربية روايات: «الحوالة» للسنغالي صنبين عثمان، «توجاك الدم» للكيني نغوجي واثيونغو، «المقسرون» للنيجيري وول سوينكا.

■ الماركسية والتراث العربي الاسلامي

● **بيروت ـ اصدرت دار «الحوار» في سلسلة الابحاث المقدمة من قبلها لنيل سليمان قرادة في كتاب د. حسين مروة «النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية»، وقد تابعت الدراسة الكيفية التي تناول فيها الباحث الجهود السابقة لحسين مروة في التراث، وطبيعة النظرية التي يطرحها ودراسته للظرف الاجتماعي ـ الاقتصادي الذي نبت فيه الفكر العربي، وتطوره نحو الفلسفة العربية ـ الاسلامية، وكيفية معالجته لمصطلحي الفكر العربي، والفلسفة العربية ـ الاسلامية.**

«المتشائل» بالبولندية

صدر في وارسو كتاب اميل حبيبي «المتشائل» باللغة البولندية من ترجمة المستشرقة حنا يانكوفسكا، وضمن سلسلة روائع الادب العالمي المعاصر «التي يصدرها المركز الحكومي البولندي للنشر».

"الموت الثالث لسنتياغو نصار"

جمال بنورة

اصدر اليجيو غارسيا ـ الاخ الاصغر للكاتب الكولومبي المعروف غابريل غارسيا ماركيز كتابه الجديد " الموت الثالث لسنتياغو نصار" ، شخصية التي حسبما ماركيز في روايته المعروفة "حكاية موت معلن".

ويقدم لنا اليجيو رصدا تفصيليا دقيقا لحقبات وتفاصيل مسيرة شاقة لحكاية موت معلن.

وايام لا تنسى

عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، صدرت رواية الكاتب جمال بنورة الجديدة ايام لا تنسى ، ترصد الرواية احداث الفترة الاولى من احتلال الضفة الغربية عام ١٩٦٧ ، وتقع الرواية في ٣٩٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهي العمل السابع للكاتب جمال بنوره .

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاول وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

• قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب .**

قيمة اشتراك واحد لمدة

على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم _____ Name

العنوان _____ Adress

المدينة _____ City

البلد _____ Country

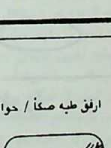

قيمة الاشتراك

		سنة	سنتين
للافراد	الاشتراك المحلي	١٥ دولار	٢٥ دولار
	اوروبا	٢٥ دولار	٤٥ دولار
	بلدان اخرى	٣٠ دولار	٥٠ دولار
للمؤسسات المحلية		٥٠ دولار	٩٠ دولار
الاشتراك السنوي	اوروبا	١٠٠ دولار	
	بلدان اخرى	١٥٠ دولار	

ترسل قيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB, P.O. BOX 20489 EAST JERUSALEM. VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

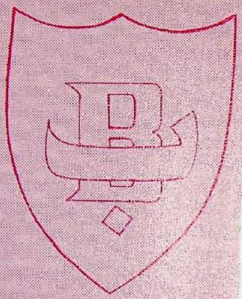

الأمان الكامل هو شعارنا

الوكالة العربية للتأمين

سعيد برانسي وإخوانه

القدس - ٢٠ شارع صلاح الدين - هاتف رقم : ٠٢/٢٨٥١٤١

ص.ب: ١٩٥٥٠ - القدس ٩١١٩٤

الناصرة - مركز البشارة التجاري - قرب العين - هاتف ٠٦٥ - ٥١٣٧٦/٧

Digitized by Birzeit University Library

● الطفل عرفات محمد عبد الله (٤ سنوات) من سكان «بلوك ١» في مخيم جباليا. اصيب بحروق في مختلف انحاء جسمه عندما داهمت قوات الاحتلال منزل والديه وهرب نزعا في اتجاه الأم التي كانت تقلي سمكا فسقط على رعاء القلي ونقل لتلقي العلاج في مستشفى «الاهلي» في غزة. (صورة خاصة بـ «الاتحاد») ●

Editor
As'ad Al As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL (02)856931

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

99

Digitized by Birzeit University Library